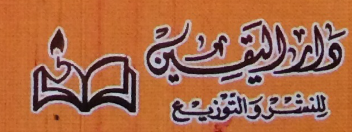
Why
West Geniuses
Were Just With ISLAM

عباقرة الغرب

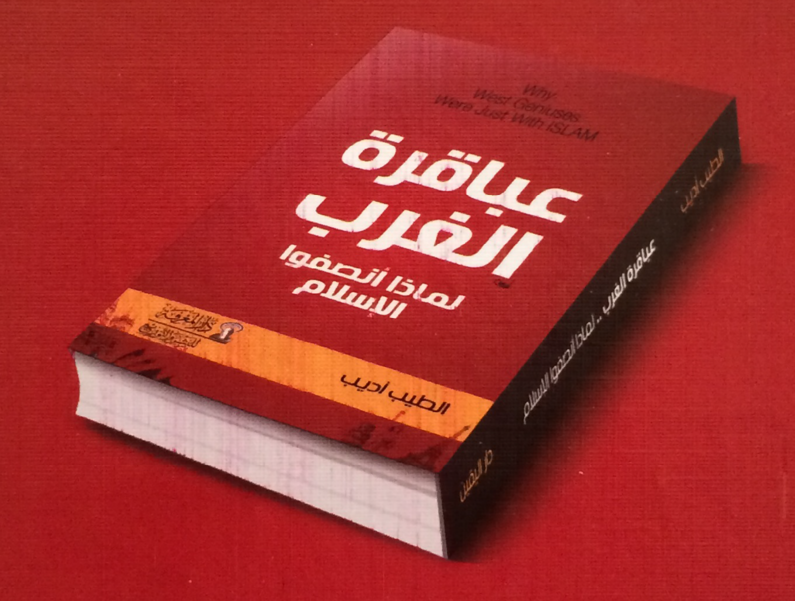
لماذا أنصفوا الإسلام



الطيب أديب







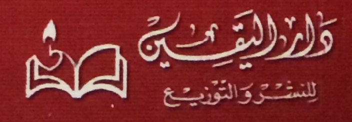




القاهرة : شارع البيطار - خلف جامع الأزهر

هاتف: ٠١١١١٣٢٢٦٦٨ (٢+) / ٠١٠٠٨٥٨٤٨٢٠ (٢+)

البريد الإلكتروني : elmarefa@hotmail.com





عباقرة الغرب
لماذا انصفوا الإسلام؟

الطيب أديب

الطبعة الأولى

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

رقم الإيداع : ١٩٩٠١/ ٢٠١٢

الترقيم الدولي : ٢ - ٥٥٢ - ٣٣٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨



القاهرة : شارع البيطار - خلف جامع الأزهر

هاتف: ٠١١١٣٢٢٦٦٨ / ٠١٠٨٥٨٤٨٢٠

البريد الإلكتروني : elmarefa@hotmail.com

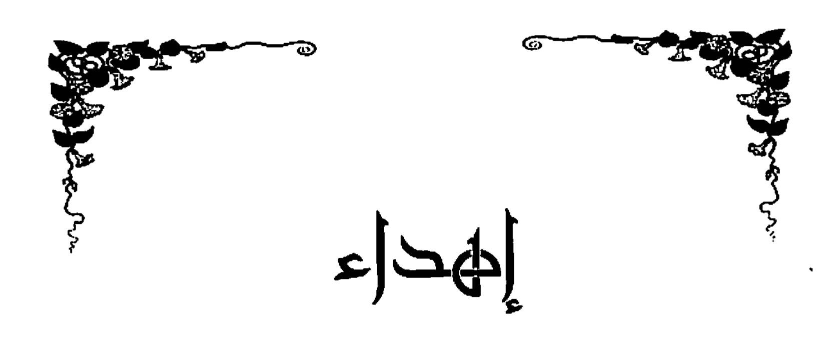


دار اليقين للنشر والتوزيع - مصر - المنصورة

المنصورة : شارع عبد السلام عارف الكردون الخارجي لسوق الجملة بجوار معارض الشريف ص . ب ٤٥٦ المنصورة ٣٥٥١١

هاتف : ٠٥٠٢٢٥٥٢٤١ جوال :٠١٠١٥٧٥٨٥٢ البريد الإلكتروني : elyakeen@hotmail.com

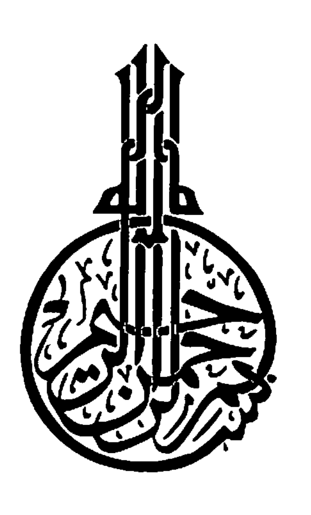
القاهرة - كورنيش المعادي - ٦ أبراج المهندسين - الدور السادس - شقة ٢ - ت: ٠٢٢٥٢٨٦٥٤٠



إهداء

إلى هؤلاء العباقرة المنصفين..
والباحثين عن الحقيقة..
في كل زمان ومكان!





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لا تزال الوجوه القبيحة للاستشراق تحيك مخططاتها الخبيثة، والتي استمرت لقرنين من الزمان، للنيل من المسلمين وعقيدتهم وتراثهم وتنعتهم بالتطرف والإرهاب والتخلف وعبادة الشياطين وغير ذلك؛ لتشويه صورة العرب والمسلمين عن عمد في بلاد الغرب، وزادت شراسة هذه الحملات بعد أن راح سفهاء الغرب يسيئون للإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم ومقدسات المسلمين وتراثهم، في صورة رسوم كاريكاتورية وأعمال أدبية وسينمائية وغير ذلك من أساليب قذرة بحجة حرية الإبداع.

ورغم كل ذلك فإنه على الجانب الآخر من الاستشراق برز عدد غير قليل من الوجوه الاستشراقية المستنيرة والمنصفة والتي درست أحوال المسلمين -عقيدتهم وتراثهم ولغتهم وآدابهم وعلومهم وحياتهم الاجتماعية - بكل موضوعية دون تعصب، وأرجعوا الفضل لأهله، وهذا الفريق المنصف ضم كوكبة من عباقرة الغرب من العلماء والأدباء والمفكرين، الذين تعرضوا لإساءات بالغة في بلاد الغرب نتيجة مواقفهم الشجاعة وحياديتهم في نقل الحقيقة لشعوبهم دون تزييف، لأن سقف حرية الإبداع – المزعوم – لا يتسع لهؤلاء المنصفين الموضوعيين في أرجاء المعمورة!

وهؤلاء المستشرقون المنصفون صبوا دراساتهم في كتبهم وأشعارهم التي تشيد بدين الإسلام ونبيه ﷺ ولغة العرب وتراثهم الثري في الأدب والعلوم والفنون التي سبقوا بها غيرهم من الأمم.

وانقسم هؤلاء المستشرقون المنصفون إلى ثلاثة أقسام: الأول منهم اعتنق الإسلام بعد دراسة مستفيضة واقتناع مثل الدكتور "مراد هوفمان" الألماني، و"روجيه دوباسكويه"

السويسري، والقسم الثاني: اعتنق الإسلام ولكنه لم يبح بإسلامه علنا مثل الدكتورة "أنا ماري شيمل" والشاعر الألماني "جوته".. والثالث منهم ظل على عقيدته ولكنه أبى التزييف وكتب بموضوعية مثل الدكتورة "زيجريد هونكة" و"مايكل هارت" ونستعرض في هذا الكتاب لعينة من هؤلاء العباقرة الذين أثروا الفكر الإنساني، وكتبوا ما أملته عليهم ضمائرهم الحية.

وعلينا كعرب ومسلمين ألا نغفل كتاباتهم المنصفة لننقلها للأجيال القادمة بلغتنا العربية، وترجمتها لمختلف اللغات الأوربية والشرقية، وأن نطوع وسائل الاتصال الحديث لنشرها، فكتاباتهم أسهل الطرق لتفنيد مزاعم شياطين الاستشراق، ونشر الحقيقة في بلاد الغرب.

والله من وراء القصد وهو يهدي سواء السبيل..

الطيب أديب

* * *

ما المقصود بالاستشراق؟

الاستشراق لغة مستمد من كلمة "شروق" وقد جاء في لسان العرب في مادة "شرق" (شرقت الشمس تشرق شروقا وشرقًا أي طلعت، واسم الموضع: المشرق.. والتشريق: الأخذ في ناحية المشرق، يقال: شتان بين مشرّق ومغرّب، وشرقوا: ذهبوا إلى الشرق، وكل ما طلع من المشرق فقد شرق.

والاستشراق يعني تلك الدراسات الأكاديمية التي يقوم بها علماء غير مسلمين للإسلام والمسلمين من جوانب شتى دينية وثقافية وحضارية وسياسية واجتماعية واقتصادية مهما كانت لغتها في بلاد الشرق بقصد معرفة كل صغيرة وكبيرة في هذه البلاد لتحقيق أهداف ومآرب متنوعة!

كما أطلق لفظ "مستشرق" على هؤلاء المفكرين المشتغلين بهذا العلم.

والذين قسموا العالم إلى شرق وغرب، وقسموا الشرق إلى شرق أدنى وأوسط وأقصى، ويطلق لفظ الشرق عادة على المنطقة العربية وشعوب آسيا وأفريقيا.

على إن كلمة استشراق لم تعد تستعمل في ألمانيا ومعظم دول الغرب اليوم بعد صدور كتاب "الاستشراق" الذي كتبه المفكر -الفلسطيني الأصل- إدوارد سعيد، والذي يمزج بين الاستشراق والاستعمار. فاستبدل المصطلح إلى "الاستعراب والدراسات الإسلامية".

بداية الاستشراق وأسبابه:

١ - لا نستطيع الجزم بتحديد أول شخص نبتت في ذهنه فكرةُ الاستشراق وغزو الشرق من الداخل، إلا أن معظم المحققين لهذه المسألة يكادون يجمعون على أن بداية هذه

الحركة نشأت في نهاية القرن العاشر الميلادي وأوائل القرن الحادي عشر بفرنسا، وأن الراهب الفرنسي "جربر دي أولياك" (٩٣٨ - ١٠٠٣م) كان من أوائل المشتغلين بعلوم الشرق، وارتبطت باسمه بداية حركة الاستشراق، إذ رحل من فرنسا إلى أسبانيا مهد الحضارة الإسلامية في وقته، فتعلم فيها اللغة العربية ووقف على علوم العرب في الرياضيات والطب والكيمياء والفلسفة، كما قرأ بعض العلوم الدينية حتى قيل إنه كان أوسع علماء عصره معرفة بعلوم العرب، وخاصة في الرياضيات والفلك، ثم ارتحل إلى روما حيث اشتهر من بين أقرانه بمعرفته الواسعة باللغة العربية وعلومها، وانتخب حبرًا أعظم باسم "سلفستر الثاني" (٩٩٩ - ١٠٠٣م) وكان بذلك أول بابا فرنسي، واستطاع من خلال منصبه الجديد أن ينشئ مدرستين لتدريس اللغة العربية وعلومها، وكانت الأولى في روما مقر البابوية، والثانية في وطنه الأصلي "دايمس"، ثم أنشأ بعد ذلك مدرسة ثالثة تسمى مدرسة "شارتر" وقام هذا الراهب الفرنسي بترجمة بعض الكتب العربية في الرياضيات والفلك، وإليه يرجع الفضل في انتشار الأعداد العربية في أوربا التي كانت ينقصها رقم الصفر، ولم تكن تعرفه حتى نقله إليها (جربر دي أولياك) من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية.

٢ - وجاء بعده (قسطنطين الأفريقي: ١٠٨٧م)، و(بطرس المحترم: ١٠٩٢ - ١١٥٦م)، و(أرجو دي سانتلا: ١١٠٧م)، ثم (جيرارد كريمون: ١١١٤ - ١١٨٧م)، ثم تتابع رواد هذه الحركة وتكاثرت أعدادهم واختلفت جنسياتهم بحيث شملت معظم دول أوربا وأمريكا في العصر الحديث، وكان هؤلاء إذا عادوا إلى بلادهم عملوا على نشر علوم العرب بين أبناء وطنهم، إلى أن تطور الأمر بعد ذلك؛ إذ أنشأت الحكومات الأوربية في جامعاتها أقسامًا متخصصة لتدريس اللغة العربية وعلوم الشرق.

٣ - وأخذت بعد ذلك حركة الاستشراق تنمو في اطراد مستمر حتى (١٣١١ - ١٣١٢م)، حيث عقد مؤتمر فيينا الكنسي، وكان من أهم قراراته إنشاء كرسي للغة العبرية والعربية في معظم جامعات أوربا، فتأسس كرسي اللغة العربية في روما على

نفقة الفاتيكان، وفي باريس على نفقة ملك فرنسا، وفي أكسفورد على نفقة ملك إنجلترا، ويرى كثير من المؤرخين لحركة الاستشراق أن هذا المؤتمر هو البداية المنظمة وشبه الرسمية للاستشراق، وما كان قبل ذلك إنما كان بمثابة الإرهاص لميلاد هذه الحركة، وتبع ذلك انتشار المدارس والمعاهد الاستشراقية المعنية بدراسة الشرق وعلومه الإسلامية بصفة خاصة.

أهداف الاستشراق:

انطلق المستشرقون في دراستهم للإسلام وبلاد الشرق مرتكزين على قاعدتين أساسيتين أثرتا في دراساتهم الاستشراقية أثرًا بالغًا وهما:

أ- النزعة الصليبية التنصيرية التي خيمت على أذهان المستشرقين وغطت على أفكارهم، فجاءت دراساتهم في ثوب تنصيري، فارتبط الاستشراق في جميع مراحله ارتباطًا وثيقًا بالمؤسسات الكنسية التنصيرية.

ب- النزعة الاستعمارية السياسية المادية التي تهدف إلى بث النفوذ الغربي على البلدان الإسلامية، ونهب خيراتها وثرواتها وكان لهذه النزعة أثرا كبيرا في توجيه دراساتهم وشدة حماستهم لتحقيق أهدافهم.

و يمكن تلخيص أهداف المستشرقين والدراسات الاستشراقية في الآتي:

١- إفساد صورة الإسلام، بطمس معالمه، وتشويه محاسنه، وتحريف حقائقه، وتقديمه للعالم على أنه دين متناقض.

٢- تشكيك المسلمين في دينهم، بإثارة الشبهات حول الإسلام ورسول الإسلام ﷺ لإضعاف صلتهم بهذا الدين وارتباطهم به.

٣- إحياء النعرات القبلية، والعصبيات المذهبية، والنزعات الطائفية والعقائدية، وإثارة الخلافات، لتفريق وحدة المسلمين، وإضعاف روح الإخاء بين المسلمين، وإثارة اللهجات العامية وذلك بالتشكيك في اللغة العربية ومصادرها.

٤- غرس المبادئ الغربية في نفوس المسلمين وتمجيدها، والعمل على إضعاف القيم الإسلامية وتحقيرها حتى يتم لهم إفساد أبناء المسلمين وتحللهم ثم توجيههم لخدمة مصالحهم.

٥- إزالة الثقة بعلماء وأعلام الأمة الإسلامية، وذلك لقطع الصلة بين المسلمين وماضيهم، وفي المقابل تمجيد الشخصيات الغربية وتعظيمها ليسهل التأثير والانقياد لهم.

أبرز سمات منهج المستشرقين:

١- تحليل الإسلام ودراسته بعقلية أوربية، فهم حكموا على الإسلام معتمدين على القيم والمقاييس الغربية المستمدة من الفهم القاصر والمغلوط الذي يجهل حقيقة الإسلام.

٢- تبييت فكرة مسبقة ثم اللجوء إلى النصوص واصطيادها لإثبات تلك الفكرة واستبعاد ما يخالفها.

٣- اعتمادهم على الضعيف والشاذ من الأخبار وغض الطرف عما هو صحيح وثابت.

٤- تحريف النصوص ونقلها نقلًا مشوهًا وعرضها عرضًا مبتورًا وإساءة فهم ما لا يجدون سبيلًا لتحريفه.

٥- غربتهم عن العربية والإسلام منحتهم عدم الدقة والفكر المستوعب في البحث الموضوعي.

٦- تحكمهم في المصادر التي ينقلون منها، فهم ينقلون مثلًا من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه.

٧- إبراز الجوانب الضعيفة والمعقدة والمتضاربة، كالخلاف بين الفرق، وإحياء الشبه وكل ما يثير الفرقة، وإخفاء الجوانب المشرقة والإيجابية وتجاهلها.

٨- الاستنتاجات الخاطئة والوهمية وجعلها أحكامًا ثابتة يؤكدها أحدهم المرة تلو الأخرى، ويجتمعون عليها حتى تكاد تكون يقينًا عندهم.

٩- النظرة العقلية المادية البحتة التي تعجز عن التعامل مع الحقائق الروحية.

وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم :

١- تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام واتجاهاته ورسوله وقرآنه، وفي أكثرها كثير من التحريف المتعمد في نقل النصوص أو ابتسارها وفي فهم الوقائع التاريخية والاستنتاج منها، إلى جانب شراء عدد من الصحف المحلية في بلاد الشرق.

٢- إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام وبلاده وشعوبه.

٣- إرساليات التبشير إلى العالم الإسلامي لتزاول أعمالًا إنسانية في الظاهر كالمستشفيات والجمعيات والمدارس والملاجئ ودور الأيتام ودور الضيافة كجمعيات الشبان المسيحية وأشباهها.

٤- إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية، ومن المؤسف أن أشدهم خطرًا وعداء للإسلام كانوا يستدعون إلى الجامعات العربية والإسلامية في القاهرة ودمشق وبغداد والرباط وكراتشي ولاهور وعليكرة وغيرها ليتحدثوا عن الإسلام!

٥- إقامة المؤتمرات الكبرى التي تبث أفكارهم المسمومة تحت زعم تطوير بلاد الشرق وتحريرها ونشر الحريات ومساواة الرجال بالنساء وغير ذلك.

٦- إنشاء الموسوعات مثل دائرة المعارف الإسلامية، التي أصدروها بعدة لغات، وشارك في تحريرها حشد من كبار المستشرقين وأشدهم عداء للإسلام، وهي مليئة بالأباطيل عن الإسلام ورموزه وحضارة المسلمين.

أخطر المستشرقين المعاصرين:

- أ.ج. أربري: وهو إنجليزي معروف بالتعصب ضد الإسلام والمسلمين ومن محرري (دائرة المعارف الإسلامية) وعمل أستاذا بجامعة كمبردج. وتخرج على يديه الكثير من الباحثين المصريين في الدراسات الإسلامية واللغوية في انجلترا. ومن أبرز مؤلفاته: "الإسلام اليوم"- "مقدمة تاريخ التصوف" "ترجمة القرآن".

- الفرد جيوم: انجليزي معاصر واشتهر بالتعصب ضد الإسلام. وحاضر في جامعات إنجلترا وأمريكا. وتغلب على كتابته وآرائه الروح التبشيرية. ومن كتبه (الإسلام) ومن المؤسف أنه تخرج عليه كثير ممن أرسلتهم الحكومة المصرية في بعثات رسمية للخارج لدراسة اللغات الشرقية.

-بارون كارا دي فو: فرنسي شديد التعصب ضد الإسلام والمسلمين. وساهم بنصيب بارز في تحرير "دائرة المعارف الإسلامية."

- هـ.أ.ر.جب: أكبر مستشرقي إنجلترا المعاصرين،وكان عضوًا بالمجمع اللغوي المصري ثم أستاذ الدراسات الإسلامية والعربية في جامعة هارفرد الأمريكية. ومن كبار محرري وناشري "دائرة المعارف الإسلامية". ومن كتبه:"طريق الإسلام" - "الاتجاهات الحديثة في الإسلام".

-جولدزيهر: وهو مجري عرف بعدائه للإسلام وبخطورة كتاباته عنه ومن محرري (دائرة المعارف الإسلامية). وله كتاب مترجم للعربية بعنوان"تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي".

-س.م: زويمر: مستشرق مبشر اشتهر بعدائه الشديد للإسلام، ومؤسس مجلة "العالم الإسلامي" الأمريكية التبشيرية،و مؤلف كتاب "الإسلام تحد لعقيدة".

- غ. فون جرونباوم. وهو يهودي من أصل ألماني قام بالتدريس في الجامعات الأمريكية، واشتهر بكيل التهم للمسلمين وشن حربا ضروسا ضد كل ما يتعلق بالإسلام

والمسلمين في عام ١٩٥١م جميع كتاباته، ومن أشهر كتبه: "إسلام العصور الوسطى"- "الأعياد المحمدية"- "محاولات في شرح الإسلام المعاصر".

- لوي ماسينيون: أكبر مستشرقي فرنسا المعاصرين، ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شئون شمال أفريقيا، والراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر.

وزار العالم الإسلامي أكثر من مرة وخدم بالجيش الفرنسي خمس سنوات في الحرب العالمية الأولى، وكان عضوًا بالمجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي العربي في دمشق، وتخصص في الفلسفة والتصوف الإسلامي، ومن أشهر كتبه:"الحلاج الصوفي الشهيد في الإسلام"، ويعد من كبار محرري "دائرة المعارف الإسلامية".

-هنري لامنس اليسوعي: وهو فرنسي، وشارك في تحرير دائرة المعارف الإسلامية،، وعرف بعدائه وتعصبه وافتراءاته لدرجة أقلقت بعض المستشرقين أنفسهم ومن أشهر كتبه:"الإسلام"- "اللطائف".

وهناك قائمة طويلة بأسماء دهاة المستشرقين الذين بثوا سمومهم ضد الإسلام ورموزه وحضارته واتخذوا في نشر مؤلفاتهم وسائل متنوعة مكنتهم من تأسيس مراكز لبث فكرهم في جامعات الغرب والإشراف على الرسائل العلمية لطلاب الشرق المسلمين، واختراق الجامعات العربية ومراكز البحوث التي فتحت أغلبها أبوابها لاستضافتهم كمحاضرين أو كمشاركين في وضع الموسوعات والمؤلفات الضخمة التي زعم أنها تعني بتراث الإسلام وحضارته وهي في حقيقتها غير ذلك تماما!

* * *



"أنا ماري شمل"
عميدة الإستشراق الألماني

"أنا ماري شمل" عميدة الإستشراق الألماني



ولدت "أنا ماري شمل" (Annemari Schimmel) في مدينة "إيرفورت" الألمانية، يوم ٧ أبريل ١٩٢٢، وكان والدها يعمل موظفا في البريد. نشأت وترعرعت في حقبة حرجة من تاريخ ألمانيا الحديثة، فقد تزامنت نشأتها مع بداية قدوم الاشتراكية القومية (النازية) إلى الحكم، ولكنها في هذه الأجواء المملوءة بالشعارات العرقية التي كانت تمجد «العرق الآري»، وتعلي من أهمية «أن يكون المرء ألمانيا»؛ بدأت أنا ماري شيمل بتعلم اللغة العربية في سن الخامسة عشرة، وحصلت على درجة الدكتوراة في الاستشراق من قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة برلين سنة ١٩٤١ عن "دور الخليفة والقاضي في مصر الفاطمية والمملوكية"، وهي لم تتجاوز سن التاسعة عشرة، وبعد ٣ سنوات حصلت على درجة الأستاذية من جامعة "ماربورغ"، وتُعد شيمل أصغر من حصل على مثل هذه الدرجة العلمية في هذا الوقت. كما حصلت سنة ١٩٥١ على درجة دكتوراة ثانية في تاريخ الأديان.

وقامت "شيمل" سنة ١٩٥٢ بأول زيارة لها إلى العالم الإسلامي، وبالتحديد إلى تركيا التي عادت إليها في عام ١٩٥٦ لتستقر بها ٥ سنوات؛ حيث عملت كأستاذة مساعدة في العلوم الإسلامية واللغة العربية في جامعة أنقرة؛ لتشغل لاحقا منصب أستاذة كرسي تاريخ الأديان في كلية العلوم الإسلامية بذات الجامعة، حيث كثفت دراساتها في تلك الفترة عن الإسلام في شبه القارة الهندية.

وفي أنقرة واستانبول اتجهت شيمل إلى عالم المخطوطات الشرقية، وحصلت على لقب أستاذة خارج الهيئة، ولكن الأستاذية الفعلية لشيمل كانت في كلية الإلهيات (الإسلامية) في جامعة أنقرة..

وفي عام ١٩٥٤ عينت شيمل أستاذة لتاريخ الأديان. وكانت تدرّس باللغة التركية ظاهرة الأديان وتواريخها باستثناء الإسلام. وقد كان عدد أعضاء هيئة التدريس من النساء في جامعة أنقرة وفي غيرها من الجامعات في الشرق في تلك الآونة أكثر من عدد أعضاء هيئة التدريس من النساء في جامعة بون في التسعينات. وقد دأبت شيمل أن تشير إلى ذلك بوضوح وبخاصة عندما يكثر الحديث عن تهميش المرأة أو اضطهادها في البلدان الإسلامية. وهكذا فإن تحقيق شيمل لأستاذيتها -وهذه إحدى المفارقات- قد تم عن طريق تركي.

وتعبيرًا عن إعجابها بالشاعر والمفكر الباكستاني ترجمت عام ١٩٥٨ كتاب إقبال "الخلود" إلى الألمانية الذي يعد تفسيرا عصريا للإسراء والمعراج. وبعد عام ترجمت نفس الكتاب إلى التركية، كما أصدرت كتابين عنه عام ١٩٧٤، الأول بعنوان "جناح جبريل" والثاني بعنوان "محمد إقبال شاعر وفيلسوف نبوي".

وتلا المرحلة التركية تنقل شيمل وعملها كأستاذة للدراسات الإسلامية واللغات الشرقية في جامعات ألمانيا وأوروبا وأمريكا إضافة لجامعات سوريا وتركيا وباكستان، وخلال هذه الفترة أصدرت مجموعة من كتبها الهامة حول الإسلام أهمها: "إن الملك لك" "أدعية من الإسلام"، و"عالم الإسلام رحلة من الأعماق".

كما كتبت كتب أخرى أهمها :

- "أبعاد الصوفية في العالم الإسلامي ".
- " دراسة عن جلال الدين الرومي".
- "تحسين الخطوط في إطار الحضارة الإسلامية".
- "محمد رسول الله ﷺ".
- "مفهوم الإرادة الإلهية".

- "الإسلام دين الإنسانية" وكتب أخرى عديدة.

ورجعت المستشرقة الألمانية إلى بلادها سنة ١٩٦١؛ لتشغل في جامعة "بون" منصب مستشارة لشؤونها العلمية في مجال الدراسات الإسلامية، إلى جانب عملها كأستاذة للغة العربية والعلوم الإسلامية، ورئاستها تحرير مجلة "فكر وفن" حتى سنة ١٩٧٣، وهي مجلة علمية، نشرت من خلالها الكثير من أبحاثها عن الأدب الإسلامي، كما تنقلت "شيمل" بين العديد من الجامعات العالمية المرموقة كأستاذة زائرة؛ فقد حاضرت لسنوات طويلة في جامعة "هارفارد" وجامعة نيودلهي في الهند، والمجلس الأمريكي للعلوم، وجامعة "إيوا" في نيويورك، ومعهد الدراسات الإسماعيلية في لندن.

ونالت شمل نظير مسيرتها العلمية الحافلة الكثير من الجوائز وأوسمة التكريم، لعل أهمها جائزة "فردريش ركارت" الألمانية سنة ١٩٦٥، ووسام القائد الأعظم لجمهورية باكستان الإسلامية سنة ١٩٦٦، ووسام الاستحقاق الألماني من الدرجة الأولى سنة ١٩٨٢، وحرص الرئيس الألماني السابق "رومان هرتسوغ" على أن يسلم جائزة السلام بنفسه لعميدة المستشرقين، وأن يقول في حقها كلمته الشهيرة: "إنها هي من مهدت لنا الطريق للإسلام".

ونالت وسام الاستحقاق في مصر، ومنحتها جامعة الزهراء الإيرانية درجة الدكتوراة الفخرية قبل رحيلها بأربعة أشهر؛ تقديرا لجهودها في خدمة الإسلام، وفي ألمانيا كرمها المجلس الأعلى للمسلمين عام ١٩٩٨ في احتفال خاص.

وتوفيت بعد رحلة حافلة بالعطاء في أوائل العام ٢٠٠٣ عن عمر يناهز الثمانين عامًا.

وكانت قد أوصت بأن تتلى سورة الفاتحة على قبرها، وقد رتل السورة الكريمة بالعربية يوم دفنها الشيخ أحمد زكي اليماني.

ووصفها المفكر الإسلامي "عبد الحليم خفاجي" في معظم كتبه بـ"مؤمنة آل فرعون".

وكما قدرت ألمانيا محمد إقبال بإطلاق اسمه على الشارع الذي أقام به في مدينة هايدلبرج التي حصل من جامعتها على درجة الدكتوراه في الفلسفة، أطلقت باكستان اسم آنا ماري شيميل على أهم شوارع مدينة لاهور .

إنصافها للإسلام!

وظلت شيمل تنافح عن الإسلام ومن أقوالها: " إن الحضارة التي سارت على سُنة تحية "السلام"، تمر اليوم بأطوار من الانغلاق والتصلب الفكري وتبريرية المواقف.

وإننا نجد أنفسنا اليوم إلى حد كبير أمام مظاهر صراع سياسي بحت وأيديولوجيات تستغل الإسلام كشعار، وهي أبعد ما تكون عن أسسه الدينية وأصوله"

وردت على المعارضين لها ولمنهجها في الدراسة والبحث.. تقول:" إن طريقي ليس هو طريق التصريحات والبيانات، ولا هو طريق الإثارات والزوابع. إنني أومن أن الماء الصافي سوف ينتصر بحركته الدءوبة على مر الزمن على صم الحجر. إنني أتوجه مع رجاء العون من أجل خدمة السلام بالشكر أولا وأخيرا، إلى من توجه إليه "جوته" في الديوان الشرقي بقوله:

لله المشرق

لله المغرب

والأرض شمالا

والأرض جنوبا

تسكن آمنة

بين يديه

هو العدل وحده

يريد الحق لعبده

من مائة اسم من أسمائه

تقدس اسمه هذا.. آمين

وفي كتابها «مُحمّد رسول الله» قالت: «إن الحضارة التي رسم معالمها نبيّ الهُدى والسلام لهي جديرة بانتشال العالم من وطأة الصراع السياسي والأيديولوجيات التي تستغل الإنسان أسوأ استغلال، وقيادته إلى بر الأمان على سُنة تحية السلام التي صارت شعارًا له..».

وتقول في الكتاب نفسه: «لا تلوموني على حبي لرسول الإسلام.. حبي وشغفي بالإسلام ورسوله بلا حدود، حتى إنَّ البعض يقول إنني أخفي إسلامي..أود أن أنذر نفسي كمحب مخلص لسيد المدينة العظيم محمد رسول الله.. فلماذا تلومونني على حبي ودفاعي عن رسول الإسلام الذي أحبُّه، في حين لم يتعرَّض شخص في التاريخ للظلم الذي تعرَّض له محمد في الغرب.. فأساطير القرون الوسطى اتهمته بأنَّه كان كاردينالًا استاء لعدم تعيينه بابا فانفصل عن الكنيسة وأسس ديانة جديدة، واتهمته رواية فرنسية بأنَّه شارك مع شخصين آخرين في تكوين نوع من الثالوث الشيطاني! وجريمة لا تُغتفر في حق محمد ارتكبها الأدباء الإنجليز؛ حوَّلوا اسم محمد ليكون مرادفًا للشيطان.. وحوَّل الأدب الألماني (محمدًا) إلى (ماحوم)، واتهموا المسلمين بأنَّهم يعبدون أصنامًا ذهبية لماحوم.. وللأسف فإنَّ مثل هذه الصور الشنيعة راسخة في اللاوعي الجماعي للغرب، وهو ما يفسر العداء الغربي للإسلام.. أليس هذا الظلم دافعًا لي لتوضيح حقيقة رسول الإسلام والدفاع عنه حتى لو كلفني ذلك حياتي.. فإنَّ (الساكت عن الحق شيطان أخرس..!)

الإسلام دين الإنسانية

ويعد كتابها "الإسلام دين الإنسانية" من أهم كتبها، وقد أعدته المؤلفة لنشره ضمن سلسلة أديان الإنسانية التي نشرتها مطبوعات "دار ركلام " في مدينة شتوتجارت الألمانية في العام ١٩٨٩ م، ونشر الكتاب مستقلا في العام ١٩٩٧م، ونشرته وزارة الأوقاف

المصرية ثلاث طبعات، ضمن سلسلة قضايا إسلامية وآخرها التي صدرت في جمادي الأولي ١٤٢٨هـ مايو ٢٠٠٧م ، وترجمه وعلق عليه د. صلاح محجوب، واحتوى الكتاب على مقدمة واثني عشر فصلا وجاء في ١٦٦ صفحة.

وفي الفصل الأول من الكتاب تناولت المؤلفة صورة الإسلام في أبحاث الأوروبيين منذ القرن السابع عشر الميلادي تلك الصورة المغلوطة عن الإسلام، إذ بدت في أوربا أسطورة تهديد المسلمين لعالم الغرب الأوربي منذ قرابة الألف سنة تقول عنها المؤلفة: (أما السبب الذي أشاع هذه الأسطورة فقد كان دخول العرب المسلمين أسبانيا في القرن الثامن الميلادي، ثم حصار الترك لأسوار فيينا آخر الأمر في سنة ١٦٨٣ م وقد نشأت من تلك الأحداث تصورات مغلوطة عن الإسلام والمسلمين باعتبارهم العدو التقليدي للمسيحية في أوربا). ومن هذه الآراء المغلوطة التي تصور اعتقادا مغلوطا أن المسلمين يعبدون محمدًا ﷺ وأن المسلم يتحدث إلى تمثاله الذهبي قبل الصلاة، وترجع المؤلفة ذلك الفهم الخاطئ إلى افتقار الأوروبيين بالمعرفة الصحيحة للغة العربية حتى قام "روبرتوس كتننسيس" بإعداد أول ترجمة لاتينية لمعاني القرآن الكريم في سنة ١١٤٣م تلك الترجمة التي طبعت بعد ٤٠٠ سنة في بازل بسويسرا ونشأت عنها ثلاث ترجمات أخرى ساعدت الغربيين إلى محاولة الفهم الصحيح للمسلمين والإسلام.

وفي الفصل الثاني كتبت المؤلفة عن الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام وجاء الفصل الثالث تحت عنوان النبي محمد رسول الله ﷺ وتناولت فيه مولده ونشأته وزواجه من السيدة خديجة رضي الله عنها ونزول الوحي وبداية الدعوة والبعث والجزاء.

في الفصل الرابع كتبت عن انتشار الإسلام بعد وفاة الرسول- ﷺ - تقول المؤلفة: (وهكذا ورث خلفاء الرسول ﷺ مهمة توجيه الجماعة المسلمة ومهمة الإمامة في الصلاة والفتوح، وتتكون الأمة الإسلامية من المؤمنين، وهي مؤيدة بالعون الإلهي ولا يصيبها غضب من الله. وكما هو شائع في التقاليد النقلية عندما تدنو ساعة الحساب ويقول كل إنسان " نفسي نفسي " ويقول الرسول " أمتي أمتي "). وفي الفصل نفسه تتناول المؤلفة

جهود الخلفاء الراشدين والأمراء من بعدهم في نشر الإسلام والعلم في ربوع الأرض. وفي الفصل الخامس كتبت عن تعاليم الدين الإسلامي وتقول عن القرآن الكريم: (القرآن الكريم هو أساس الإسلام عند المؤمنين وهو كلمة الله الصحيحة، ولم يكن للرسول ﷺ سوى دور توصيل هذه الكلمة الإلهية للمسلمين بلسان عربي مبين. والقرآن الكريم محفوظ في اللوح المحفوظ في السماء وهو مصدر العبادات والفروض عند كل المسلمين من العرب وغير العرب). وتحدثت المؤلفة عن أركان الإسلام الخمسة كما سجلت في نفس الفصل ملاحظة هامة كما تقول: (وعلينا هنا تسجيل ملاحظة هامة وهي أن كل الحركات الإصلاحية الإسلامية نشأت في إطار وبتأثير من المشاعر المقدسة فقد عاش كثير من البنغاليين والنيجيريين والمغاربة ومواطني آسيا الوسطى في مكة، وتشبعوا بتعاليم الإسلام في البيئة العربية، وعندما عادوا إلى بلدانهم ثانية كافحوا كل البدع التي يخلو منها الإسلام السمح).

وفي الفصل السادس كتبت المؤلفة عن السيرة النبوية وتناولت فيه جهود الصحابة والتابعين في جمع الأحاديث النبوية الشريفة كما تقول: (وهكذا وجد المسلمون الأتقياء في تعاليم الرسول ﷺ وسيرته العطرة خير نموذج يتمسكون به في كل أمورهم مصداقا لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب] .

وفي الفصل السابع كتبت عن الشريعة الإسلامية وأوضحت أن القرآن الكريم والسنة النبوية هما المصدران الإسلاميان اللذان يرجع المسلمون إليهما عند حل المسائل الخلافية المتعلقة بالشرع أو بفقه العبادات، وأن المذاهب الفقهية الأربعة شكلت توجهات الشرع الإسلامي وصاغت أحكامه.

وفي الفصل الثامن كتبت المؤلفة عن علم الكلام والفلسفة الإسلامية وفي الفصل التاسع كتبت عن الشيعة والمذاهب الإسلامية وكتبت في الفصل العاشر عن التصوف والطرق الصوفية وفي الفصل الحادي عشر عن كرامات الأولياء. أما الفصل الثامن عشر

فجاء تحت عنوان الإسلام في العصر الحديث وفيه تناولت المؤلفة جهود المفكرين المسلمين حول مرونة الإسلام وملاءمته للظروف المتغيرة في العصور المختلفة خاصة بعد أن اجتاحت جيوش المغول الخلافة العباسية في بغداد حتى انتهى الحال بسقوطها في سنة ١٢٥٨م والتي غيرت الأشكال السياسية الإسلامية المألوفة حتى ذلك الوقت وذكرت المؤلفة جهود المفكر "ابن تيمية" الذي كرس جهوده من أجل الدفاع عن أسلوب الحياة الإسلامية ضد عوامل التغير بعد أن رأي في القرآن والسنة النبوية الشريفة أساسا للحياة الإسلامية والاجتهاد الديني محتملا بذلك صعابا كثيرا نتيجة لمواقفه الثابتة وكذلك جهود الإمام محمد ابن عبد الوهاب في الجزيرة العربية والذي انتسبت إليه عدة حركات سلفية أسماها بعض الكتاب باسم الحركة الوهابية وقد احتل أتباعه الذين تسموا باسم " الموحدين " الحجاز ومكة للتعاون مع أسرة الأمير سعود في السنوات ١٨٠٣ حتى ١٨٠٦ م.

وفي نفس الفصل الأخير كشفت المؤلفة دور القوى الاستعمارية الغربية في نشر أفكارها ولغتها وعقيدتها في البلاد الإسلامية التي رضخت تحت براثن الاحتلال في الهند والشام ومصر وبلاد المغرب ومقاومة المسلمين للاستعمار الغربي تقول المؤلفة: (وقد كان من الطبيعي أن تنشط الحركات الإصلاحية بين المسلمين في ظل أوضاع سياسية كهذه ومع تردي الأوضاع الاقتصادية في العالم الإسلامي لحساب المستعمرين الأجانب، وهنا ينبغي لنا أن نتحدث عن الحركات الإسلامية في المقام الأول، وهي الجماعات التي تسمى الجماعات السلفية والتي رأت أن الاعتماد على فكر السلف الصالح من أئمة المسلمين هو المنهج السديد من أجل مواجهة الاستعمار الغربي).

* * *



زيجريد هونكه
مؤمنة آل فرعون

زيجريد هونكه
مؤمنة آل فرعون

ولدت "زيجريد أو زيكريد هونكه" في كيل بألمانيا سنة ١٩١٣، وهي ابنة الناشر هاينريش هونكه، وزوجها هو المستشرق الألماني الكبير الدكتور شولتزا، ودرست علم أصول الأديان ومقارنة الأديان والفلسفة وعلم النفس والصحافة، وحصلت على شهادة الدكتوراه عام ١٩٤١.

وتعلمت اللغة العربية وأتقنتها وأخذت في قراءة الكتب العربية، والتاريخ العربي وبالأخص الأندلسي.

واشتهر عنها في آخر حياتها أنها كانت تنظر للإسلام نظرة معتدلة واتضح ذلك من خلال أشهر كتبها التي أثرت بها المكتبات الغربية والعربية مثل: «شمس الله تشرق على الغرب» وكتاب«الله ليس كذلك» وكتاب «قوافل عربية في رحاب القيصر».

وتناولت دراسة الأديان بموضوعية وتعرف بإعجابها بالإسلام والعربية؛ فبعد الحرب العالمية الثانية وسقوط ألمانيا ذهبت إلى المغرب وعاشت سنتين في طنجة، ثم رجعت إلى ألمانيا واستقرت في بون لتؤلف كتبها المشهورة عن إنصاف العرب والمسلمين لا سيما الأندلسيين، مما أدى إلى تعرضها إلى حملات استياء في موطنها جعلها تنضم إلى بعض الجمعيات الوطنية الألمانية لكف الأذى عنها.

ونالت هونكه العديد من الجوائز الأكاديمية والتقديرية، وقام بعض الرؤساء والأمراء العرب بدعوتها وتكريمها.

وقيل إنها أسلمت في آخر عمرها قبل عام أو عدة أعوام من وفاتها في "هامبورغ "عام ١٩٩٩م.

الله ليس كذلك:

ويعد كتابها "الله ليس كذلك" أشهر كتبها، وجاء في ستة فصول من القطع المتوسط،وصدرت طبعته الأولى عن دار بافاريا بألمانيا بالتعاون مع مجلة النور الكويتية، وصدرت طبعته الثانية عن دار الشروق بالقاهرة في ١٩٩٦م، بترجمة للدكتور غريب محمد غريب.

ومن أهمية هذا الكتاب أنه جاء ليفند مزاعم مفكري الغرب التي ساقوها بناء على آراء وقناعات مسبقة تتهم العرب والمسلمين وتلصق بهم كل ما هو قبيح،تقول المؤلفة في مقدمة كتابها: "ليس ثمة شعب يسيء الغرب فهمه كالعرب والعروبة، وإن العلاقة بينهم لترزح منذ قرون.. وقد أسهمت الآراء المسبقة بينهما في مسخها وتشويهها.. إن شعوبا أخرى نائية غريبة عنا، وشعوبا أخرى ذات أديان وضعية ليست من ديننا نقف منها موقفا سمحا مبسطا ليس بالمعقد. وعلى العكس من موقفنا من الشعوب العربية المسلمة أو تلك التي تدين بالإسلام من غير العرب-وتذكر المؤلفة كلمة للمؤلف الفرنسي "رومان رولاند" الذي قال:"لا ريب أن الآراء المطلقة المتوارثة تجعل تفهم الشعوب بعضها بعضا أمرا يسيرا، كما تجعل احتقار بعضهاالبعض أمرا هينا يسيرا".

وتكشف المؤلفة "زيجريد هونكه" عن الأغراض الخبيثة للحروب الصليبية التي شنها الغرب على العالم الإسلامي فتقول: "بدا تحول حاسم في مجرى التاريخ بدعوة البابا أوربان الثاني في السابع والعشرين من عام ١٠٩٥م في كليرمونت بفرنسا كافة فرسان الغرب إلى حمل الصليب والزحف لتحرير قبر عيسى المقدس ببيت المقدس زاعما أنه قد تخرب وتهدم وقد كشفت الأحداث أن هذه كانت مجرد دعاية وأن ذلك الشعار المرفوع لتحرير قبر يسوع محض خدعة كنسية، تخفي من ورائها أهداف الكنيسة السياسية التي حسبت حسابها بغاية الدقة، وقد نجحت تلك الدعاية البابوية في تأجيج حماسة الفرسان الذين كاد صبرهم ينفذ، حيث كانوا عاطلين بلاعمل، كماألهبت تلك الدعاية حمية الوعاظ الجوالين الذين مالبثوا أن تحولوا إلى حركة جماهيرية شعبية، تملكها مايشبه الوجد الصوفي

في نشوتها والتهابها شوقا لتحرير قبر المسيح. وأما البابا أوربان الثاني فتقول عنه المؤلفة: "كان البابا يمني نفسه قبل كل شيء، بتحقيق خطة البابا الأسبق "جريجوري السابع" في رأب صدع الكنيسة، التي كانت انشقت على نفسها بحيث تضم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية كل طوائف النصارى وأن يعيد الكنيسة الشرقية أو المنشقة إلى حظيرة الاتحاد الكنسي من جديد... كان البابا داهية أتقن دوره.. وكان يعرف كيف ينتقي أشد الكلمات في تلك اللحظة تأثيرا، فيضرب على الوتر الحساس في نفوس الفرسان، ويثير حميتهم وغضبهم فيخلع عنه صفات القداسة، ويرفعهم إلى مصاف أبناء الرب الذين يحاربون في سبيله ثم يؤكد نداءه بقوله: "ولست أنا الذي ينذركم وإنما الرب نفسه يطلب إليكم ويحذركم، بصفتكم حملة لواء المسيح الداعين إليه أن تطهروا الأرض المقدسة التي يعيش فيها إخوانكم المسيحيون من أولئك الرعاع".

الحقد الأعمى:

وفي الفصل الثاني من كتاب "الله ليس كذلك" لزيجريد هونكه تصف المؤلفة وصول الجيوش الصليبية إلى هدفها المنشود فتقول: "وقد تجلى ذلك الحقد الأعمى في انتقام الصليبيين عقب وصولهم إلى هدفهم المنشود، بيت المقدس، فقد طغت حماستهم فجرفت أمامها كل السدود، وانطلقوا سيلا بشعا بربريًا يأتي على الأخضر واليابس، وقد أجج من كل ذلك صيامهم ثلاثين يوما حماسة متعصبة، و"نذرا" للرب وتقربا، ولقي هذا كله رد فعل لدى سفاكي الدماء السفاحين من فرسان "الفرنجة" من فرنسيين ونورمان وجموعهم التي انحدرت في طرقات بيت المقدس تحصد الأرواح حصدا، لا تقع على إنسان إلا قتلته أو ذبحته فجندلته، رجالا ونساء وشيوخا وولدانا، وتذكر مصادرنا الغربية ذاتها أن ذلك الحصاد الوحشي المريع بلغ عشرة آلاف ذبيحًا".

تسامح المسلمين:

وفي الفصل الثاني من الكتاب ، تذكر المؤلفة بعض المواقف النبيلة عن تسامح المسلمين مع الأعداء وتستدل بهذه الرسالة التي أرسلها أحد الألمان الذين شاركوا في الحروب

الصليبية بعد عودته إلى وطنه فأرسل إلى سلطان مصر الملك الكامل يعبر فيها عن مشاعره، تعبيرا مؤثرا وهذا الجندي هو علام الفلسفة اللاهوتية " أوليفروس" من كولونيا على نهر الراين الذي كتب يقول في رسالته عام ١٢٢١م: "منذ تقادم العهود، لم يسمع المرء هذا الترفق والجود إزاء أسرى العدو اللدود، ولما شاء الله أن نكون أسراك، ولم نعرفك مستبدا طاغية، ولا سيدا داهية، وإنما عرفناك أبا رحيما شملنا بالإحسان والطيبات وعونا منقذا في كل النوائب والملمات. ومن ذا الذي يمكن أن يشك لحظة في أن مثل هذا الجود والتسامح والرحمة من عند الله.. إن الرجال الذين قتلنا آباءهم وأبناءهم وبناتهم وإخوانهم وأذقناهم من العذاب، لما غدونا أسراهم وكدنا نموت جوعا، راحوا يؤثرونا على أنفسهم على ما بهم من خصاصة، وأسدوا إلينا كل ما استطاعوا من إحسان، بينما كنا تحت رحمتهم لا حول لنا ولا سلطان " تقول المؤلفة: "هنا كان ينبغي أن يقرع ناقوس، وأن تتجاوب لرنينه نواقيس أخرى.. "

وفي مقابل هذا تذكر "هونكة" موقفا للملك ريتشارد قلب الأسد الذي لوث سمعته إلى الأبد، فبينما أقسم بشرفه لثلاثة آلاف أسير عربي أن حياتهم آمنة. إذا هو فجأة منقلب المزاج فيأمر بذبحهم جميعًا ويحذو قائد الجيش الفرنسي حذوه سريعا كما في قولها: "وعلى العكس من هذا عرفنا صلاح الدين الذي أخزى قواد الجيوش النصارى فلم ينتقم قط من أسراهم النصارى الذين كانوا تحت رحمته وردا على خيانتهم وغدرهم وفظاعتهم الوحشية التي ليس لها حد. ولقد أخزاهم صلاح مرة أخرى حين تمكن من استرداد بيت المقدس.. فإنه لم يسفك دم سكانها من النصارى انتقاما لسفك دم المسلمين، بل شملهم بمروءته، وأسبغ عليهم من جوده ورحمته ضاربا المثل في التخلق بروح الفروسية العالية."

وتفند "هونكة" مزاعم رجال الكنيسة الذين يزعمون أن الإسلام انتشر بحد السيف

فتقول في الفصل الثاني: أما الشيء الذي تأبى على فهم الكنيسة فاستحال عليها قبوله أقض مضاجعها، فهو دخول شعوب الأقطار المفتوحة في الإسلام أفواجا بمحض إرادتها، دون مساعي إرساليات التبشير، ودون الإكراه في الدين. أجل لقد كانت السماحة

العربية والروح العربي وأسلوب الحياة العربي. مما استحوذ على نصارى أسبانيا وليس كما يزعم المبطلون زورا عظيما وبهتانا أثيما، بأنهم أرغموا على الإسلام خشية السيف البتار والحريق بالنار.. وما إن دالت دولة العرب في أسبانيا حتى اندثرت معهم أزهى وأخصب حضارة ملكتها أوروبا في العصور الوسطى وغرقت في بحر من الرعب، وأتت فيه أمواج التعصب الديني على كل شيء وابتلعته ابتلاعا."

وفي الفصل الثالث تقارن بين حال أسبانيا قبل وبعد الفتح العربي فتقول: (كانت أسبانيا قبل الحكم العربي تتسم بالفقر والخراب والاستعباد وبعد قرنين من الحكم العربي رفرف الرخاء والثراء على ساكنيها؛ وتميزت بارتفاع مستوى كل طبقات الشعب وازدهار الحضارة وتقدمها في كافة العلوم والفنون فصار لها السبق والريادة في أوروبا... إلى أن زحفت أسبانيا النصرانية من الخارج فقوضت كل ذلك وحطمته تحطيما".

هدى الإسلام:

وفي الفصل الرابع من الكتاب فندت هونكه الادعاءات الأوربية التي يروج لها مفكرو الغرب بأن المرأة المسلمة مضطهدة وأنها كائنة بلا روح محرومة من كافة الحقوق تباع وتشترى. واختتمت هذا الفصل الرابع بنصيحة ثمينة للمرأة العربية قالت فيها: "إذا أرادت المرأة العربية طي الماضي بخلعها الحجاب، فلا ينبغي عليها أن تتخذ المرأة الأوربية أو الأمريكية أو الروسية قدوة تحتذيها، أو أن تهتدي بفكر عقائدي مهما كان مصدره، لأن في ذلك تمكينا جديدا للفكر الدخيل المؤدي إلى فقدها لمقومات شخصيتها، وإنما ينبغي عليها أن تستمسك بهدي الإسلام الأصيل، وأن تسلك سبيل السابقات من السلف الصالح، اللائي عشنه منطلقات من قانون الفطرة التي فطرن عليها، وأن تلتمس العربية لديهن المعايير والقيم التي عشن وفقا لها، وأن تتكيف تلك المعايير والقيم مع متطلبات العصر الضرورية وأن تضع نصب عينها رسالتها الخطيرة المتمثلة في كونها أم جيل الغد العربي، الذي يجب أن ينشأ عصاميا يعتمد على نفسه".

وفي الفصل الخامس من الكتاب فندت (هونكة) مزاعم الغربيين عن المسلمين بإحراق مكتبة الإسكندرية أثناء فتح مصر وساقت الأدلة والبراهين بأن المكتبات القديمة في مصر جميعا لم يكن لها أي وجود أيام دخول العرب الإسكندرية عام ٦٤٢م وأن قياصرة الرومان هم الذين شردوا العلماء وحولوا المكتبة إلى كنيسة بعد حرق كتبها واضطهاد الفلاسفة واتهامهم بممارسة السحر والشعوذة".

وفي الفصل السادس تختتم المؤلفة كتابها بقولها: (إن الإسلام هو ولا شك أعظم ديانة على ظهر الأرض سماحة وإنصافا، نقولها وبلا تحيز، ودون أن نسمح بالأحكام الآثمة في حقه، والجهل البحث به؛ وإن علينا أن نتقبل هذا الشريك والصديق مع ضمان حقه في أن يكون كما هو".

* * *



جوته
رابع عظماء الأدب الغربي!

جوته
رابع عظماء الأدب الغربي!

ولد" جوهان فولف جانج جوته"، في الثامن والعشرين من شهر أغسطس عام ١٧٤٩م في مدينة "فرانكفورت" الألمانية، وماتَ في "فايمار" في ٢٢ مارس ١٨٣٢م.

وكان والده جامعيًّا مثقفًا محبًا للعلم والفنون، متمسِّكًا بالقيم والأخلاق. أما والدته، فيقال إنه أخذَ عنها رحابة الخيال الإبداعي، وكان جوته قد لفت انتباه أهله ورفاقه ومعلِّميه في طفولته بذكائه وقدرته الفريدة على الاستيعاب حفظًا وإدراكًا، وبموهبته المبكِّرة في الشِّعر والنَّثر وجميع الفنون، وقد ورثَ جوته من الأب القامة والنظرة الجادّة إلى الحياة، ومن الأم ورث صفاء النفس وحب المرح.

وكان من أكثر ما ميز جوته عن كثير من أدباء الغرب، أنه درس اللغة العبرية في طفولته خلال الفترة ما بين ١٧٦٢ – ١٧٦٥م وترجم من التوراة كتاب "نشيد الأناشيد"، ثم عكف على القرآن وقرأه سنة ١٧٨١م، ثم قرأه مرة أخرى في ترجمته اللاتينية ومن هنا بدأ اهتمامه بالأدب العربي فقرأ المعلقات بترجمة جونز اللاتينية وغيرها.

ويعد الشاعر جوته، رابع عظماء الأدب الغربي، إلى جانب مؤلف "الإلياذة" الشاعر الإغريقيَ "هوميروس" ومؤلف كتاب "الكوميديا الإلهية" الإيطالي "دانتي" والشاعر البريطاني "وليام شكسبير".. وعقب عودته من رحلته إلى إيطاليا عام ١٧٩١ أشار عليه صديقه هردر بالعناية بالآداب الهندية والفارسية وهو ما كان حيث اطلع جوته على كل كتاب جديد يصدر في هذا المجال.

وفي عام ١٨١٤ خرج كتابه "الديوان الشرقي" والذي مزج فيه بين الشرق والغرب، وحظي فيه الإسلام والقرآن الكريم بإجلال لا مثيل له.

وينقسم ديوان جوته إلى قسمين كبيرين الأول شعر والثاني نثر، وهو عبارة عن تعليقات وضعها لكي يفهم الديوان ويتكون القسم الأول من اثني عشر كتابًا هي كتاب "المغني، وحافظ، العشق، التفكير، سوء المزاج، الحكمة، تيمور، زليخا، الساقي، الأمثال، الفارسي، الخلد".

وكان لسقوط نابليون أثر فادح في نفس جوتة، وكان معجبا به في شبابه والتقاه عندما قام نابليون باحتلال مدينة فاليار الألمانية، كما نعت نابليون جوتة بأنه "إنسان حقا"، وفي المقابل تعاطف جوته مع نابليون عندما بدأ نفوذه في الاضمحلال في أواخر عهده الذي انتهى بهزيمة واترلو الشهيرة، مما جعل البعض يشكك في وطنيته. وكتب جوتة آنذاك أن يرغب في الهروب من عالمه المليء بالأخطار لعالم آخر خيالي، وكان العالم المنشود هو الشرق. وقد سمى جوته رحلته إلى الشرق باسم "الهجرة" وافتتح ديوانه "الشرقي الغربي" بوصف هذه الهجرة والدوافع التي أدت إليها وفي قصيدته التي جاءت في أول كتاب "المغني" تحت عنوان "الهجرة" والتي أشار فيها الشاعر إلى رغبته في أن يهاجر كما هاجر محمد "ﷺ" من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة يقول:

الشمال والغرب والجنوب تتحطم وتتناثر

والعروش تُثل، والممالك تتزعزع وتضرب

فلتهاجر إذًا إلى الشرق في طهره وصفائه

كي تتروح جو الهُداة والمرسلين

هنالك، حيث الحب والغناء

سيعيدك ينبوع الخِضر شابًا من جديد

إلى هنالك، حيث الطهر والحق والصفاء

أود أن أقود الأجناس البشرية

فأنفذ بها إلى أعماق الماضي السحيق

حين كانت تتلقى من لدن الرب

وحـــــــي الـــــــسماء بلغـــــــة الأرض
دون تحطـــــــيم الـــــــرأس بـــــــالتفكير

وكتب مسرحية عن النبي "محمَّد ﷺ" وصفه فيها بأنه جاء بأفكار عالمية جديدة ليشيع السلام والمساواة والإخاء في العالم، وأراد جوته أن يكتب نصًّا منصفًا عن هذه الشخصية العربية الإسلامية العالمية حتى إنه صوَّر النبي ﷺ هاديًا للبشر في صورة نهر يبدأ التدفُّق رقيقًا هادئًا ثم لا يلبث أن يندفع بشكل سيلٍ عارمٍ آخذًا معه البشرية نحو النهر المحيط "رمز الألوهية".

وقامت الكاتبة الألمانية "كاتارينا مومزن" بدراسة حول علاقة جوته بالإسلام، وقالت فيها: إن جوته في عامه السبعين أعلن على الملأ أنه يعتزم أن يحتفل بخشوع بـ "الليلة المقدَّسة" التي أنزل فيها (القرآن)، معترفة أن شاعر ألمانيا كان يحفظ العشرات من الآيات القرآنية، وأنه كان مؤمنًا بوحدانية الله، وكان شغوفًا على وجه الخصوص بالآية الكريمة من سورة طه ويردِّدها باستمرار، وهي: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ [طه]. كما أن مسلمي ألمانيا يتحدَّثون دائمًا وبأدلة قوية عن اعتناق جوته للإسلام، واثقين في ذلك تمام الثقة، وتؤكِّد ذلك "جماعة فايمر" التي أطلقت على جوته اسم "محمَّد" تيمنًا باسم رسول الله ﷺ. أما أدلَّة "جماعة فايمر" على إسلامه فهي كثيرة، كما يقول رئيس المجموعة "أبو بكر ريجر":

- "درس جوته السيرة النبوية بأكملها وقواعد اللغة العربية والشِّعر العربي، وكتب مجموعة أعمال شعرية تبين إعجابه الشديد بالدين الإسلامي عامة، وشخصية الرسول الكريم محمَّد على نحو خاص".

-"حرص جوته على تعلُّم اللغة العربية ودراسة الاستشراق ليقترب من الإسلام أكثر، ومن خلال التعلُّم الذاتي حاول أن يكتب العربية، حيث قام بشراء مجموعة من أعمال فن الخط العربي، ويقال إنه كان ينظِّم جلسات لقراءة (القرآن الكريم) في إحدى

قصور الدوقات الألمان، ورفض فكرة الصلب المسيحية، وشكّك ببعض أركان الدين المسيحي".

-واختتم أبو بكر كلامه بقوله:"إنه ووفقًا لوثائق تاريخية، فإن جوته لم يشاهد، وهو يصلّي أو يصوم أو يحج "بيت الله الحرام" أو يؤدي الزّكاة، لكنه يقال إنه شارك في نهار أحد أيام شهر يناير عام ١٨١٤ في صلاة الجمعة بمدينة فايمار مع مجموعة من الجنود الروس المسلمين التابعين لحكومة روسيا القيصرية آنذاك. بينما يؤكّد آخرون أن جوته كان يصوم رمضان مع المسلمين، ويتردّد على أحد المساجد للصلاة فيه، وكان يحفظ آيات عديدة من (القرآن الكريم)، وكان يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، كما إنه نطق مرتين بالشهادتين في كتاباته، إلى جانب آلاف الصفحات التي كتبها ممجّدًا ومادحًا النبي محمّدًا عليه الصلاة والسلام.

ومن أشعاره الرائعة:

يريد الضلال أن يربكني
لكنك تعرف كيف تهديني
فإن أقدمت على عمل أو أنشدت شعرا
فأنر أنت لي جادة الطريق

ويقول متأثرا بالقرآن الكريم:

هو الذي جعل لكم النجوم
لتهتدوا بها في البر والبحر
ولكي تنعموا بزينتها
وتنظروا دائمًا على السماء

-وفي قصيدة "حيوانات محظوظة" يرى أن بعض الحيوانات سعيدة الحظ ستدخل الجنة، ومنها حمار المسيح عليه السلام، وكلب أهل الكهف، وناقة محمد ﷺ، وقطة

أبي هريرة ﷺ، لا لشيء إلا لأن النبي الكريم قد مسح بلطف على رأسها كما يروي ذلك المخيال الشعبي:

وها هي ذي هرة أبي هريرة

تموء حول سيدها وتلاطفه

إذ سيبقى حيوانا مقدسا على الدوام

ذلك الذي مسح عليه النبي عليه السلام.

-وجاء في قصيدة "نساء مصطفيات" تفضيل لأربع نساء من نساء العالمين: زليخا زوجة العزيز، ومريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة الزهراء بنت محمد- ﷺ- يقول بعد أن ذكر الأوليين:

وزوجة محمد التي أفاضت عليه الحنان

وأعانته على تحقيق أروع الأمجاد

وبعدهن تأتي فاطمة الزهراء

الابنة الطاهرة والزوجة المصون

ذات الروح النقية كملائكة السماء

-وأما في قصيدة "رجال مؤهلون"، فإنه يقر عظمة الصحابة -رضوان الله عليهم - وأنهم أهل لأعلى عليين:

محمد يتكلم:

ليندب الأعداء قتلاهم، فإنهم من الهالكين

أما الشهداء من إخواننا

فلا تندبوهم

فإنهم أحياء في أعلى عليين

وهم أولاء يقرعون أبواب الجنة

يدخلونها بسلام آمنين.

-ويقول في قصيدة أخرى متأملا وباحثا عن خالقه:

ارتفع أيها القلب العامر بالحب إلى خالقك

كن أنت مولاي، كن إلهي أنت يا من تحب الخلق أجمعين

يا من خلقتني وخلقت الشمس والقمر

والنجوم والأرض والسماء

-ومن أشعار جوته أيضًا والتي تأثر بها بالقرآن الكريم يقول:

هـــو الـــذي جعـــل لكـــم النجـــوم

لتهتـــدوا بهـــا في الـــبر والبحـــر

ولكـــــي تنعمـــــوا بزينتهـــــا

وتنظـــروا دائـــمًا عـــلى الـــسماء

-كما يعبر جوته عن إعجابه الشديد بصفة "الأمية" في شخصه الكريم ﷺ معتبرًا إياها معجزة ناطقة، يقول:

وأود أن أتعلّم

كيف كانت الكلمة هناك

ذات شأن كبير

لا لشيء، إلا لأنها كلمة فاهت بها الشفاه

وفي كتاب "الحكم" من ديوانه يربط بين موضوع التسليم بمشيئة الله والتسامح، فيقول:

"من حماقة الإنسان في دنياه
أن يتعصَّب كل منّا لما يراه
إذا كان الإسلام معناه أن لله التسليم
فعلى الإسلام نحيا ونموت نحن أجمعين."

* * *



الصحفي السويسري
روجيه دوباسكويه

الصحفي السويسري
روجيه دوباسكويه

عاش "روجيه دو باسكويه " في سويسرا وعمل في مجال الصحافة.

ونشأ في بيئة مسيحية بروتستانتية، غير أنه تأثر بالفلسفة الحديثة، ولا سيما الفلسفة الوجودية، فقد كان يعتقد أن الأديان معتقدات خرافية.

وعندما اشتغل بالصحافة بدأ يسافر إلى أكثر من بلد.. فسافر إلى السويد، وعمل بها مراسلًا صحفيًا في نهاية الحرب العالمية الثانية لأكثر من خمس سنوات، لكنه اكتشف أن الناس تعساء، برغم التقدم والرخاء الذي يعيشون فيه، على حين اكتشف عكس ذلك عندما سافر إلى بعض الدول الإسلامية في الشرق، وجد المسلمين - برغم فقرهم الشديد - يشعرون بسعادة أكثر، وأن حياتهم لها معنى، و هذه الملاحظة جعلته يفكر مليًا في معنى الحياة ويتأملها من خلال هذين النموذجين.. ما جعله يتساءل:

" لماذا يشعر المسلمون بسعادة تغمر حياتهم برغم فقرهم وتخلفهم؟! ولماذا يشعر السويديون بالتعاسة والضيق برغم سعة العيش والرفاهية والتقدم الذي يعيشون فيه؟! حتى بلدي (سويسرا) كنت أشعر فيه بنفس ما شعرت به في السويد، برغم أنه بلد ذو رخاء، ومستوى المعيشة فيه مرتفع! وأمام هذا كله وجدت نفسي في حاجة لأن أدرس ديانات الشرق.. وبدأت بدراسة الديانة الهندوكية فلم أقتنع كثيرًا بها، حتى بدأت أدرس الدين الإسلامي فشدني إليه أنه لا يتعارض مع الديانات الأخرى، بل إنه يتسع لها جميعًا... فهو خاتم الأديان... وهذه حقيقة كانت تزداد يقينًا عندي باتساع قراءاتي، حتى رسخت في ذهني تمامًا بعد ما اطلعت على مؤلفات الفيلسوف الفرنسي المعاصر "رينيه

جينو" الذي اعتنق الإسلام. لقد اكتشفت كما اكتشف الكثيرون ممن تأثروا بكتابات الفيلسوف الفرنسي الذي أسلم وتحولوا إلى الإسلام.. اكتشفت أن الإسلام يعطي معنى للحياة، على عكس الحضارة الغربية التي تسيطر عليها المادية، ولا تؤمن بالآخرة، وإنما تؤمن بهذه الدنيا فقط".

وهكذا فقد تأثر "روجيه دوباسكييه" بفكر الفيلسوف الفرنسي "رينيه جينو" الذي أسلم، مثلما تأثر سابقًا بزياراته للدول الإسلامية، فبرغم الظروف المادية السيئة في تلك الدول فإن أهلها يتمتعون بقدر كبير من الإيمان الراسخ في نفوسهم، ولا توجد عندهم أزمات أخلاقية كالتي توجد بالغرب، وجعلت كثيرًا من الشباب ينتحر أو يهرب من الحياة بتعاطي المخدرات، مما يعني في نظرهم أن الحياة ليس لها معنى أو قيمة... ويصل إلى نتيجة يعبر عنها بقوله:

"لقد تبينت أن الإسلام بمبادئه يَبسُط السكينة في النفس... أما الحضارة المادية فتقود أصحابها إلى اليأس، لأنهم لا يؤمنون بأي شيء... كما تبينت أن الأوربيين لم يدركوا حقيقة الإسلام، لأنهم يحكمون عليه بمقاييسهم المادية".

وأكثر ماجذب "دوباسكويه" للإسلام هو شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأن محمدًا رسول الله... فقد اكتشف أن الإسلام دين متكامل، وكل شيء فيه مرتبط بالقرآن والسنة.. لأن الإنسان يمكن أن يتأمل في هذه الشهادة طيلة الحياة.

فالشهادة تقول: لا إله إلا الله.. وهذا يعني أنه ليس هناك حقيقة نهائية ودائمة سوى الله.. أما الفلسفة الحديثة فتقول: "إنه ليس هناك حقيقة سوى هذه الدنيا، ذلك ما تقوله الفلسفة الوجودية وغيرها".

وأما السنة النبوية الشريفة فقرأها أيضًا، وتأثر بما فيها من حِكَم وبيان دقيق.

وعندما عاد "دوباسكويه" إلى سويسرا لم يتأخر في إشهار إسلامه هو وزوجته الهولندية.

وراح ينشر مقالته عن الإسلام في صحف عدة منها: "جورنال دى جنيف".. وصحيفة "جازيت دي لوزان"، وهي صحف غير إسلامية.. كما يقول: "ترجمت بعض الكتب التي تتناول موضوعات إسلامية.. ودافعتُ في كتاباتي كلها عن قضايا الإسلام كمسلم وَجَدَ طريقه في دين الإسلام".

وكتب عددًا من الكتب أشهرها -إظهار الإسلام- صحوة الإسلام -الإسلام بين التقاليد والتطور - وحصل على جائزة جمعية المؤلفين الفرنسيين عام ١٩٨٨م. وفي كتابه "إظهار الإسلام " الذي صدر عن مكتبة الشروق بالقاهرة عام ١٩٩٤م وجاء في ١٩٠ صفحة من القطع الصغير. وتكون من مقدمة وسبعة فصول، وقد كتب المؤلف هذا الكتاب لإظهار حقيقة الإسلام لمواطنيه السويسريين وللمتحدثين بالفرنسية، ثم ترجم الكتاب في كمبردج إلى الإنجليزية وترجمه الناشر إلى العربية.

وفي مقدمة كتابه يقول المؤلف:

"يستحوذ عالم الإسلام في السنوات الأخيرة للقرن العشرين على اهتمام الغرب، ورغم طفرات الحضارة الحديثة احتفظ الإسلام بالقيم التقليدية التي هجرها الغرب، وبقى عالم الإسلام في نواح كثيرة عالم الإيمان والصلاة ". واختتم مقدمته بقوله: " لا يمكن لأحد يدرك وجود حقيقة باقية لا نهائية. فوق عالم اليوم الفاني "إلا يكترث بالإسلام، إظهار الإسلام يعني إثبات الدليل على إمكان العيش في ظلال الحقيقة على المستويات الفردية والاجتماعية عيشة كاملة بلا تنازل أو حلول وسط.

أزمة الحضارة الحديثة:

وفي الفصل الأول من الكتاب تحدث "دويا سكويه" عن أزمة الحضارة الحديثة والأزمات التي تزلزل العالم الحديث، وفشل الفكر الحديث في تقديم تعريف متماسك للحالة الإنسانية بسبب الجهل الكامل عن سبب ميلاد الإنسان وعيشه وموته. وتحدث عن الانقلابات الاجتماعية والإفساد الأخلاقي والفراغ الروحي الذي يعيشه العالم الغربي يقول المؤلف: " لا يقنع الإنسان بالحضارة العصرية لأنها تقدم له كل شيء إلا الجوهر،

ولذلك تبدو خالية المعنى، لم ينشغل الإنسان جدًّا ولهوًا من قبل مثل اليوم ولم يصبه مثل ملل اليوم. فشلت الإنجازات الهائلة للعلم والتكنولوجيا سواء كانت متمثلة في التلفزيون أو غزو الفضاء أو تقدم الطب في أن تقدم له العلاج الشافي للسأم. أُلهي الإنسان في عصر الآلة وانشغل أو تشتت ذهنه وفشل في الوصول إلى الإسلام الحقيقي للروح الذي يتحقق بإنجاز المهمة السامية التي خلق الإنسان من أجلها... ويؤكد المؤلف أن نظرة الإنسان المسلم للكون تختلف تماما عن نظرة الرجل العصري الذي لا يهمه إلا إشباع حاجاته وطموحاته كما يقول في الفصل الثاني: " ينظر الرجل العصري إلى العالم كشيء يتصرف فيه كيف يشاء ليشبع حاجاته أو طموحاته أو أهوائه المستقبلية. فطالما لم يتبين أي أهمية له، أو ما يستدعى احترامه. أليس هو لقيط الصدفة، وبعد تجريده من أي قداسة يستغله وينتهكه ويدمر انسجامه ويثير الأزمات البيئية المغلقة، وعلى النقيض يرى المسلم في الخلق عملا إلهيا مجيدا تمثل عنده الأكوان. بما تحويه علامات ناطقة بنظام علوي لا يوجد في الطبيعة شيء سخيف أو متروك للصدفة، فلكل شيء أهميته التي يبصرها كل من لم تغشاه عقلية وانحيازات الحضارة المادية.."

الهجرة طاعة لله ورسوله:

وفي الفصل الثالث من الكتاب، تناول المؤلف البعثة النبوية ومولد خاتم النبيين ﷺ ونشأته ورحلة الإسراء والمعراج وهجرة الرسول وصحابته من مكة إلى المدينة، واختيار المسلمين للهجرة كتقويم إسلامي لهم يقول المؤلف: " كان من الممكن بدء التقويم الإسلامي بميلاد النبي ﷺ أو بدء نزول الوحي عليه، ولكن فضلت الهجرة لأنها تمثل تأسيس مدينة الله على الأرض، ومنذ وصول النبي إلى المدينة بدأت حياة الأفراد والمجتمع في الامتثال للنظام الإلهي، حتى أصبحت المدينة دار السلام – المثال المهم للمسلمين في القرون الآتية.. ضرب المسلمون المثل في تخليهم عن بيوتهم وأموالهم وأوضاعهم في مكة لطاعة الله واتباع رسوله..".

تعدد زوجات الرسول:

وفي نهاية الفصل الثالث تطرق المؤلف لجوانب من حياة الرسول الخاصة التي تعرضت في الغرب لتشويه وسوء فهم، وبخاصة فيما يتعلق بزواج الرسول كما يقول المؤلف: "عندما تزوج النساء وأحبهن اتهمه كثير من الغربيين بالغرق في الشهوات واللذة الجنسية وهذا الاتهام غير صحيح وتكذبه الحقائق ويجب أن يتذكر المرء أولا أنه ظل أكثر من عشرين سنة زوجا مثاليا لسيدة تكبره بخمسة عشر عاما أنجب منها ستة أبناء لم يعش منهم إلا فاطمة التي تزوجت عليا وأنجبا ذرية محمد. عاش بعد وفاة خديجة عدة سنوات دون زواج في طهر وعفة حتى تزوج في الثالثة والخمسين، وعن مغزى تعدد زوجات الرسول يقول المؤلف: "بعيدا عن البعد الأخلاقي لتعدد الزوجات، يجد المرء مغزى في تعدد زوجات الرسول كمؤسس لديانة عالمية عظمى، كان عليه أن يسن طريقة الحياة للأجيال التالية، وينظم العلاقات الزوجية والأسرية بين أفراد المجتمع ويضع قواعد الاستقرار، تلك التي لم يستطع أحد بعد أربعة عشر قرنا أن يأتي بأفضل منها".

معجزات عديدة:

وفي الفصل الرابع تحدث المؤلف عن المعجزات في الإسلام، التي حيرت العالم الغربي وأول هذه المعجزات القرآن الكريم، وما يزخر به من معرفة وحكمة، وثاني المعجزات الفتوحات الإسلامية الحاسمة السريعة التي أذهلت العالم واستعصت على فهم الكثير من الغربيين وعيبهم للإسلام انتشاره بالسيف كما يروج كثيرون منهم يقول المؤلف: " عاب المسيحيون على الإسلام انتشاره بالسيف، وأن الجهاد ترجموه – الحرب المقدسة – مغامرات تجارية وإجبار الشعوب على التحول للإسلام وللرد على ذلك يجب أولا أن نذكر أن لكل ديانة قدرا من العسكرية يظهر كبيرا أو صغيرا تبعا للظروف التاريخية وبخاصة عندما يتعرض معتنقوه للتهديد، ديانة إلهية تبين سبيل الحقيقة والفلاح كل البشر، لا يمكنها تجنب عداوات تضطر لمحاربتها حتى لا يقضى عليها – حتى البوذية لها جيوشها وحروبها، فيما لم تتردد المسيحية مطلقا في شن الحروب ضد كل من وقف في

طريقها.." ويشير المؤلف لأخلاقيات القتال عند المسلمين وتسامحهم مع عدوهم يقول: " أمر النبي بأن لا يجهزوا على جريح ولا يقتلوا النساء ولا الصبيان ولا من يعتزل القتال ونهى عن الضرر والمثلة وعلى سنته قال أبو بكر لجنوده: ستجدون قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله فدعوهم وما حسبوا أنفسهم له ولا تقتلن امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرما، بل أن النبي أمر في القتال باجتناب الوجه فقد بذل وسعه لتخفيف ويلات الحرب. اكتسب المسلمون تعاطف البلاد المفتوحة التي رأت تسامحهم وقيودهم في استخدام القوة، ورحبت بهم بلاد كثيرة فاتحين.." وعن انتشار الإسلام اليوم في العالم يقول المؤلف: " ولكن الذي يجب الانتباه إليه، أن الإسلام – خاتم التنزيل الإلهي – ينتشر في وقتنا الحالي بالعناية الإلهية ويعطي لعصرنا المظلم أشعة الشمس الأخيرة ليوم ذابل، بعيدا عن الرحمة الإلهية التي تنادى البشر حتى نهاية العالم ".

وفى الفصل الخامس تحدث المؤلف عن الوحدة التي هي المفهوم الرئيس في الإسلام لأن الإسلام يشمل كل أمور الحياة، ثم شرح المؤلف أركان الإسلام الخمسة بلغة مبسطة تناسب الغربيين.

تفرد الحضارة الإسلامية: وفي الفصل السادس أشار المؤلف لتماسك الحضارة الإسلامية وتفردها في استيعاب ودمج الأقاليم المختلفة كما يقول: " استقرت الخلافة الإسلامية في دمشق وبعد عقود قليلة، شاد هؤلاء العرب البدائيون حضارة جديدة من أروع الحضارات وأزهي حضارات التاريخ كشفت عن قدرة غير عادية في استيعاب ودمج أقاليم مختلفة وحافظت على درجة كبيرة من تماسكها وتجانسها، لتطفو مثل كل ما يبعث من الإسلام – متمركزة على مبدأ التوحيد..".

وأشار المؤلف لتقدم العرب في علوم الطب والطبيعة والرياضيات والكيمياء وغيرها في الوقت الذي كانت تعيش فيه أوروبا في ظلام وعداء للعلماء.

وعن تقدم العرب في علم الفلك وجو التحرر العلمي الذي ساد البلاد الإسلامية يقول المؤلف: ومن المثير للاهتمام أن البيروني توصل لدوران الأرض حول الشمس قبل

(كوبرنيكس) بخمسة قرون ولم تقم ضده ردود الفعل العدائية التي حدثت في أوروبا ضد نفس النظرية الحديثة القديمة.

من هو الأصولي ؟

وفي الفصل السابع والأخير كتب روجيه دوبا سكويه عن الزهد في الإسلام وحكمة الخلفاء الراشدين في إدارة أمور الدولة وعدلهم الذي عم الأرض وظهور الفلسفة الإسلامية.

وفي هامش الفصل الأخير أشار " دوبا سكويه " لمعنى كلمة أصولي التي يفسرها الغرب على هواه يقول المؤلف: " تعني كلمة أصولي عند فقهاء المسلمين ذلك الفقيه العالم الذي يبحث في القواعد لاستمداد الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، فعلم أصول الفقه من أدق وأجل العلوم الشرعية، وتعني عند العامة من يتمسك بأصول الدين وليس معروفًا على وجه التحديد ماذا يقصد الغرب بكلمة أصولي، إلا أن الشواهد تنطق أن الإعلام والسياسة الغربية يربطان بشكل أو بآخر بين كلمة أصولي "ومتطرف" وإرهابي بالنسبة للمسلمين فقط وغالبا ما يكون القاسم المشترك في ذلك لمن يصطدم بمصالح أصحاب النفوذ والسيطرة على الإعلام والسياسة الغربية ولم نسمع عن إرهاب أو أصولية صربية أو سيخية، أو إسرائيلية أو يهودية عند الإعلام والساسة الغربيين ".

* * *



كارين آرمسترونج

الراهبة التائبة

كارين آرمسترونج
الراهبة التائبة



ولدت "كارين أرمسترونج" Karen Armstrong في ١٤ نوفمبر ١٩٤٤م بإنجلترا لأسرة من أصول ايرلندية، والتحقت بجمعية «يسوع الطفل المقدس» للعمل كراهبة ١٩٦٢ - ١٩٦٩ ضمن نظام تعليمي وتقدمت في عملها كراهبة مبتدئة ليتم إرسالها إلى كلية «سانت آن» في جامعة «أوكسفورد» حيث درست الأدب الإنجليزي، تركت أرمسترونج الدير في سني دراستها معترفة بأنها لم تستطع أن تفي بمطالب حياة الرهبانية والتي كانت قد اختارتها.

بعد تخرجها بدأت في العمل على إنهاء رسالتها للدكتوراة من جامعة أوكسفورد واستمرت في عملها حتى درست في جامعة لندن ولكن أطروحتها للدكتوراه رفضت على يد ممتحن خارجي لتترك المجال الأكاديمي قبل أن تكمل رسالتها للدكتوراة.. وفي العام ١٩٧٦ أصبحت مدرسة للغة الإنجليزية في مدرسة للبنات إلا أن وضعها الصحي حال بينها وبين الانتظام في عملها بالتدريس الذي تركته عام ١٩٨١.

وكتبت كارين أرمسترونج مقالات ودراسات غزيرة في الصحف والمجلات ورغم تركها لحياة الرهبنة ألفت كتبا مهمه في الأديان ومن أشهرها: تاريخ الرب - معركة الرب - الإسلام: تاريخ موجز - الحرب المقدسة- الحروب الصليبية وأثرها على عالم اليوم والذي نال شهره كبيرة وحقق رقما قياسيا في المبيعات وناقشت فيه تاريخ الحروب الصليبية والصراع في الشرق الأوسط في العصر الحديث.

وزارت أرمسترونج «إسرائيل» مرتين أثناء غزو لبنان في ١٩٨٢ ووقوع مذبحة صبرا وشاتيلا وأثناء الانتفاضة الفلسطينية.

وعن هذا تقول: «لقد صدمني أن أسمع الإسرائيليين لا يدافعون فقط عن قتل الصغار الذي لا حول لهم ولا قوة بل ويعملون أيضًا على تسويغ هذا الأمر».

وقالت كارين عن هذه الفترة: «كنت في القدس حين سمعت مضيفي من الإسرائيليين يشيرون إلى العرب والدين الإسلامي بأكثر التعبيرات ازدراءً، لم أصدق - وأنا التي نشأت أستنكر فظائع الهولوكوست - كيف لأناس عانوا الكثير من الاضطهاد أن يتورطوا في مثل هذا النوع من العنصرية».

«كل هذا أتى لينبهني إلى أن أري جانبا آخر من القصة عبر زيارة مناطق المسلمين في القدس، ومن هنا أدركت أن ثمة شيئا ما تم حذفه عمدا في أوروبا وربما في أمريكا أيضًا وأن الشرق الأوسط والإسلام بحاجة لأن يتم تقديمهما بالشكل الصحيح بعد أن لطخت المبالغات والتشويهات صفحات تاريخ الكتابة عنهما في الغرب».

وكنتيجة لزيارتها للقدس واجهت أرمسترونج حالة جادة من التساؤل والأرق تقول: «لقد أقلقني أن وعيا جديدا بدأ يقوض ما خبرته ونشأت عليه من ثقافة غربية متسقة ونظام قيمي ارتبط بتلك الثقافة»، وتضيف: «إننا نقدم مجتمعنا كمجتمع متسامح ورحيم ومع ذلك فإننا نصدر أحكامًا من مواقع شديدة الجهل وتخلو من العقلانية».

وتعرضت أرمسترونج لهجوم عنيف من خصومها نتيجة كتاباتها الجريئة في الصحف وأقوالها في ومنها قولها:

(إن أحداث ١١ سبتمبر قسمت الأكاديميين الأمريكيين إلى معسكرين، المعسكر الأول تحت قيادة مارتن كرامر -رئيس دراسات الشرق الأوسط- الذي اتهمني، واتهم أكاديميين مثل جون إسبيسيتو -رئيس الحوار الإسلامي المسيحي في جامعة جورج تاون- بأننا نخدع الناس حول الاعتقاد بأن الإسلام ما كان تهديدًا، وحجة كرامر التي ادعاها، ثبت خطؤها فقط بعد بضعة أسابيع من ١١ سبتمبر، إذ كتب كرامر مقالة من أبراج عاجية بنيت على الرمل، ألقى باللوم فيها مباشرة على الأكاديميين للإخفاق في توقُّع

الأعمال الوحشية، وإسكات الأصوات المعتدلة... وقالت أرمسترونغ: إن كثرة أجهزة الإعلام في الولايات المتّحدة التي حاولت إسكات الأصوات المعارضة بعد ١١ سبتمبر، وعلى سبيل المثال كانت قد كُلّفت من قبل مجلة النيويوركر لكتابة مقالة عن الإسلام، لكن المجلة نشرت بحثًا للأكاديمي بيرنارد لويس بدلًا من أن تنشر مقالتي).

وقالت: (لقد اعتقدوا أنني "قس للمسلمين"، لأن مقالتي كانت حول النبي محمد "ﷺ" كصانع سلام، وهذا لم يناسب جدول أعمالهم بقدر ما تناسبهم مقالة لويس، كل من لويس وكرامر صهاينة أوفياء يكتبون من واقع التحيز المتطرف، لكن الناس بحاجة لمعرفة أن الإسلام دين عالمي، وبأنه لا يوجد شرقي أو معادٍ للغرب جدًّا حوله، وأن الخط الذي انتهجه لويس، بأن الإسلام دين عنيف، أصلًا خط مغرض، ولقد زرت إسرائيل في الثمانينيات فصدمت من مدى العنصرية التي تمارس ضد الفلسطينيين).

وقالت أيضًا: (لو علم السيد المسيح بممارسات الكنيسة اليوم لارتاع، أنا أحب أن أبين له الكثير حول الفاتيكان، حيث المسيحيون لا يستطيعون الاشتراك في كنيسة واحدة، السيد المسيح سيروع من هذا، وعلى شدة محمد ﷺ، فإنه سيروع إذا عرف بأن الحادي عشر من سبتمبر عمل باسم الإسلام).

محمد نبي لزماننا

بعدما أصدر الكاتب البريطاني الهندي الأصل سلمان رشدي روايته آيات شيطانية والتي أساء فيها للرسول ﷺ وتسبب في حدوث حالة غضب عمت أرجاء العالم الإسلامي آنذاك، ورصدت إيران جائزة قدرها مليون دولار لمن يقتل سلمان رشدي! وعلى النقيض قام الغرب بأسره ليدافع عن هذا الزنديق. ولم يكتف بهذه الحماية فكافأه على هذه الرواية بمنحه جوائز عديدة واحتفاء لا حدود له! وزادت حدة المعادة للإسلام والمسلمين في الغرب.

ورغم استياء «أرمسترونج» من تلك الفتوى التي أصدرها الإمام الخميني والتي قضت بإباحة دم «سلمان رشدي» وناشر كتابه ولكن في الوقت ذاته لم يرق لها الطريقة

التي تم بها التعامل مع قضية سلمان رشدي ومناقشتها في إنجلترا فتقول: «هؤلاء الصليبيون الجدد يدافعون عن الحق في حرية التعبير ولكن من موقع الجهل، لقد احتجوا على حرق آيات شيطانية كما لو كان المسيحيون لم يشعلوا حريقًا من قبل في كتب اختلفوا مع محتواها، لقد اضطررت أن أسأل أصدقائي لماذا قوانين الكفر والتجديف لا تطبق- في بريطانيا - إلا فيما يتعلق بالمسيحية فقط».

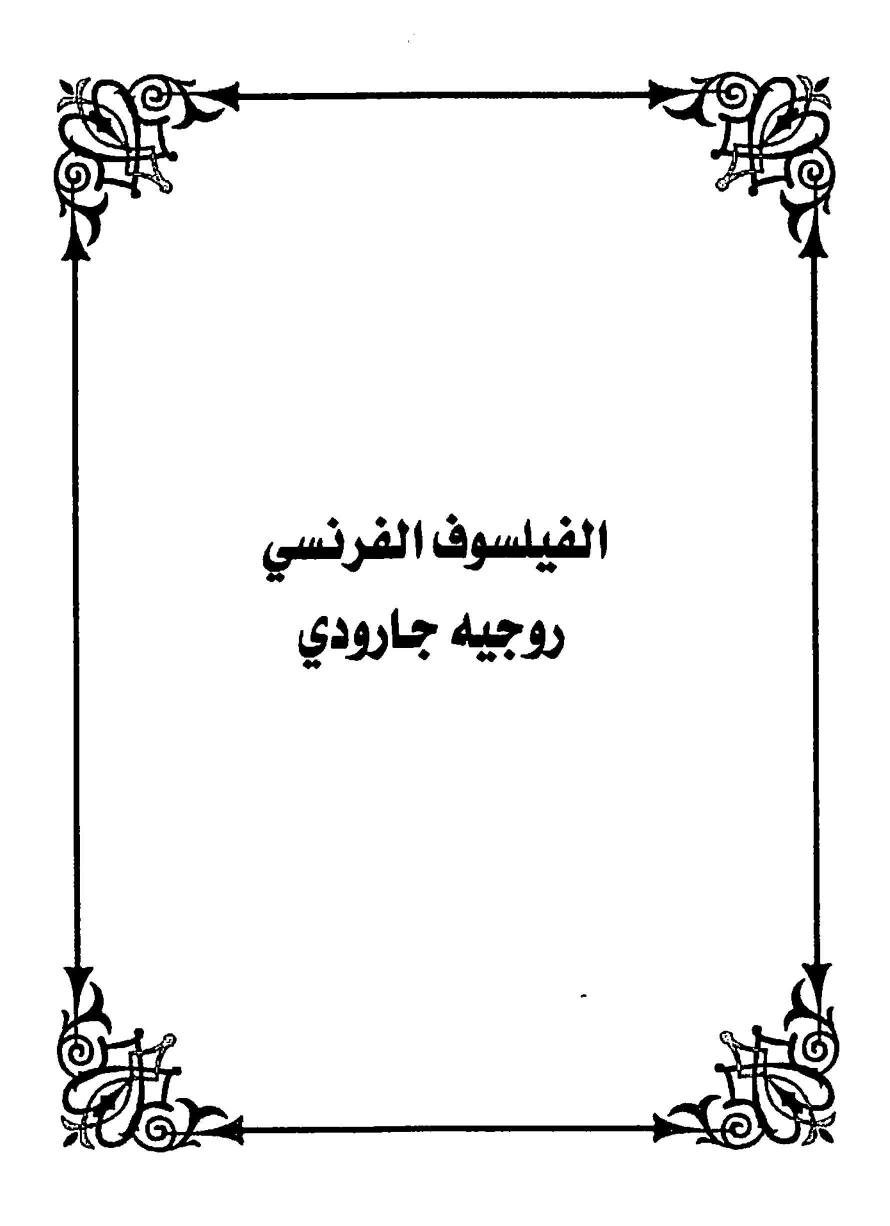
ومن هنا قررت أرمسترونج دراسة حياة النبي محمد ﷺ وأثمرت دراستها عن كتابها الرائع "محمد ﷺ نبي لزماننا "وأصدرته في العام ١٩٩٢م، والذي شرحت فيه سيرة النبي ﷺ وأحدث دويا هائلا في الغرب.

ويضم الكتاب خمسة فصول. الفصل الأول مكة، والثاني الجاهلية، والثالث الهجرة، والرابع الجهاد، والخامس السلام.

ومن أهم ما ذكرته الكاتبة أن محمدا كشخصية نموذجية له دروس مهمة ليس للمسلمين فحسب ولكن للعالم الغربي أيضًا وأن حياته كانت قائمة على الجهاد الذي لا كلل فيه ضد الطمع والظلم والغطرسة والكبرياء.

وتقول الكاتبة: "إن كلمة الجهاد لا تعني الجهاد المقدس وإنما تعني الكفاح. فلقد كافح محمد كفاحا مريرا لجلب السلام إلى بلاد العرب التي مزقتها الحرب. ولقد أدرك محمد أن بلاد العرب كانت في نقطة تحول وأن الطريقة القديمة في التفكير لن تكفي لإرساء قواعد السلام في بلاد العرب، لذا حمل على نفسه وعاتقه جهودًا خارقة مبدعة لإخراج حل جديد كلي لبلاد العرب".

وأضافت: "إن محمدا كان يمتلك عبقرية عميقة مكنته من إقامة الدين وتأسيس عادات وتقاليد ثقافية لم تستند على السيف ولكن بنيت على السلام والمصالحة المبينة". وتمنت الكاتبة أن يوجد في هذا الزمان رجال يعملون مثل أعمال محمد ولذلك كان عنوان كتابها محمد نبي لزماننا.



الفيلسوف الفرنسي
روجيه جارودي

الفيلسوف الفرنسي
روجيه جارودي

ولد" روجيه حارودى" فى العام ١٩١٣، في مدينة مارسيليا الفرنسية، وكان قبل إسلامه شيوعيا ملحدا، ، وانضم إلى صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي، وفي العام ١٩٤٥ انتخب نائبا في البرلمان ثم حصل على الدكتوراة في الفلسفة من جامعة السوربون عام ١٩٥٣، وفي عام ١٩٥٤ حصل على الدكتوراة في العلوم من موسكو، وفي العام ١٩٦٨م بدأت خلافاته مع قادة الحزب الشيوعي الفرنسي، ليتم فصله من الحزب الشيوعي الفرنسي بعد كتابه (حوار الحضارات) العام ١٩٧٠م. و تعمق جارودي في دراسة الأديان حتى استوت سفينة فكره على شاطئ الإسلام، بعد مسيرة نصف قرن من البحث عن الحقيقة، فأعلن إسلامه في جنيف في شهر رمضان ١٤٠٢هـ، عام ١٩٨٢م. وأصبح اسمه (محمد رجاء جارودي) بدلًا من (روجيه جارودي).

ومن أهم كتبه:

الدور الإنساني للحضارة العربية - إنذار إلى الأحياء - حوار بين الحضارات - كيف صار الإنسان إنسانًا؟ - القضية الإسرائيلية - الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية - الحرية - أسئلة سارتر - واقعية بلا ضفاف - ماركسية القرن العشرين - الجذور الفرنسية للاشتراكية - البنيوية فلسفة موت الإنسان.

قصة إسلامه:

وقد تعرض الفيلسوف "جارودي" لموقف كان سببًا في تفكيره بالإسلام وتحوله من الشيوعية والتنظير لها إلى الإسلام، وهذا الموقف يحكيه جارودي فيقول:(اعتقلت في أثناء

الحرب العالمية الثانية في معسكر بالصحراء الجزائرية، وفي المعتقل تزعمت تمردًا، فأصدر قائد المعسكر حكمًا عاجلًا بإعدامي، وأعطى أوامره للجنود الجزائريين المسلمين بتنفيذ الحكم، وكانت المفاجأة عندما رفضوا إطلاق النار، ولما بحثت عن السبب، علمت أن شرف المحارب المسلم يمنعه من أن يطلق النار على إنسان أعزل، وكانت هذه أول مرة أتعرف فيها على الإسلام، هذا الحادث المهم في حياتي، علمني أكثر من دراسة عشر سنوات في السوربون، فهذا الموقف الذي تعرض له هو الموقف الذي فرق فيه بين الحق والباطل، بين الهدى والضلال، موقف جعله يبحث ويطالع عن الإسلام الذي يحتوي على دستور سماوي في الأخلاق الإسلامية..

ومن الأسباب التي دفعت جارودي إلى اعتناق الإسلام:

١- احترام الإسلام للديانات السماوية السابقة، وتوقيره لرسلها.

٢- إخضاع الإسلام العلوم والفنون للمبادئ الدينية السماوية، وجعلها وسائل لسمو الإنسان وارتقائه، لا لانحطاطه وتدميره.

٣- شمول الإسلام جوانب الحياة كافة، بما في ذلك السياسة.

ويقول "جارودي": «لقد وجدت في الإسلام نظامًا اجتماعيًا واقتصاديًا وأخلاقيًا شاملًا للحياة، يصلح لإخراج البشرية من ورطتها الحاضرة، حيث فشلت الرأسمالية والماركسية كنظم وضعية في إنقاذ الإنسان المعاصر من مشكلاته».

ويقول: «وما كان يشغلني هو البحث عن النقطة التي يلتقي فيها الوجدان بالعقل، أو الإبداع الفني بالحياة، وقد مكّنني الإسلام بحمد الله من بلوغ هذه النقطة».

ومنذ أن أسلم عام ١٩٨٢م توالت إصداراته المختلفة، وأخذت كتبه تنحو بوضوح باتجاه الفكر الإسلامي كما يراه هو، فبعد كتابه: "وعود الإسلام" الصادر عام ١٩٨١م أصدر كتابه: "الإسلام دين المستقبل" وكتب المسجد مرآة الإسلام-فلسطين مهد الرسالات السماوية - الإسلام وأزمة الغرب.

وقد تُرجمت معظم مؤلفاته - التي تجاوزت خمسة وثلاثين كتابًا - إلى أكثر من عشر لغات.

وبعد إسلامه بأربع سنوات أي في العام ١٩٨٦م حاز جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام مناصفة، مع الداعية الإسلامي الكبير "أحمد ديدات".

وفي العام ١٩٩٦م بدأت الحملة الصهيونية ضده بشأن كتابه "الأساطير المؤسسة للسياسة الصهيونية" عام ١٩٩٦م.

من مواقفه الشجاعة:

وبعد مجازر صبرا وشاتيلا في لبنان أصدر جارودي بيانا احتل الصفحة الثانية عشرة من عدد ١٧ حزيران ١٩٨٢ من جريدة " اللوموند " الفرنسية بعنوان (معنى العدوان الإسرائيلي بعد مجازر لبنان) وقد وقع البيان مع جارودي كل من الأب ميشيل لولون والقس إيتان ماتيو. وكان هذا البيان بداية صدام جارودي مع المنظمات الصهيونية التي شنت حملة ضده في فرنسا والعالم.

وفي العام ١٩٩٨ حكمت محكمة فرنسية على جارودي بتهمة التشكيك في محرقة اليهود في كتابه الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل، وقال إنه مبالغ في هذا الرقم (ستة ملايين يهودي)، مبديًا اعتقاده بأن إسرائيل تتخذ هذه المسألة ذريعة لكل التجاوزات التي ترتكبها في فلسطين.

وفي ٧ يناير ١٩٩٨م عقدت الجلسة الأولى من محاكمة المفكر الفرنسي المسلم روجيه جارودي، الملاحق بتهمة التشكيك في جرائم ضد الإنسانية في كتابه (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية)، وأصدرت محكمة الجنح في باريس عليه حكمًا بدفع غرامة قيمتها (١٢٠٠٠٠ فرنك - ٢٠٠٠٠ دولار). يقول الأستاذ هيثم حافظ في كتابه (رحلة جارودي من الإسلام إلى قفص الاتهام): «هذه المحاكمة التي بدأت كرد فعل على كتابه (الأساطير

المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) وبدأت بجلسة تلو الأخرى، الشيء المستغرب هنا أن تقوم هذه المحكمة في بلد يدعي الكثير عن حرية الفكر».

شائعات حول إسلام جارودي

سرت شائعات في أوساط كثيرة، بأن جارودي ارتد عن الإسلام، وقيل إنه تظاهر بالإسلام ليفسد الإسلام من داخله، وكأن موقفه العدائي المعلن من الصهيونية العالمية هو الدليل على رغبته في إفساد الإسلام من داخله، ثم تناقلت الشائعة ألسنة وأقلام وصيغت تعليقات كثيرة ومتنوعة في حق جارودي على إثر هذه الشائعة.

* * *



عالم الفضاء

مايكل هارت

عالم الفضاء
مايكل هارت

ولد مايكل هارت في العام ١٩٣٢م، وهو أمريكي الجنسية، يهودي الديانة، و حصل على شهادة في الرياضيات من جامعة كورتيل العام ١٩٥٢، وشهادة في القانون من جامعة نيويورك العام ١٩٥٨ وشهادة في العلوم الفيزيائية من جامعة اديلفي العام ١٩٦٩، ودكتوراه في علم الفلك من جامعة برنستون العام ١٩٧٢.

وبدأ حياته العملية عمل في مركز أبحاث الفضاء العسكرية في "ميريلاند" وفي المركز القومي لدراسات طبقات الجو في "كولورادو". وفي أكبر مرصد للأفلاك في "كاليفورنيا" وأخيرًا شغل وظيفة مسئول علمي عن التطبيقات العلمية لعلوم الفضاء في "ميريلاند".

وجاءت رغبته الملحة في حب العلم من القراءة والدراسة الدقيقة، تأثرا بكلمة شهيرة للفيلسوف الإنكليزي "فرانسيس بيكون" والتي يقول فيها: "القراءة تصنع الإنسان الكامل".

الخالدون مائة، وأعظمهم محمد:

ويعد كتاب "مايكل هارت"(الخالدون مائة وأعظمهم محمد)، أشهر مؤلفاته وأكثرها دويا في بلاد الغرب والشرق معا لما لاقاه الكتاب من اهتمام إعلامي وأكاديمي وشعبي.

وبعد أن فرغ من إصدار هذا الكتاب تلقى اقتراحات من العلماء والأدباء ورجال الدين بإضافة أسماء أخرى. ولكن المؤلف أصر على موقفه ولم يغيره.

إذ أقام اختياره لشخصياته الخالدة على عدة أسس، من بينها أن الشخصية يجب أن تكون حقيقية. فهناك شخصيات شهيرة وبعيدة الأثر، ولا أحد يعرف إن كانت قد عاشت أو لم تعش، مثل الحكيم الصيني "لاوتسو" فلا أحد يعرف هل هو إنسان أو أسطورة، والشاعر الإغريقي "هوميروس" فلا أحد يعرف حقيقته، والشاعر الإغريقي "أيسوب" صاحب الأمثال والحكم، لذلك استبعد مثل هذه الأسماء.

وبعد صدور كتاب "الخالدون مائة" في الولايات المتحدة الأمريكية في العام١٩٧٨م، أحدث ضجة هائلة في الغرب، ما لبثت أن انتقلت إلى أنحاء كثيرة من العالم، ومن ثم وصلت للعالم العربي بعد أن كتب عنه الأستاذ أحمد بهاء الدين رئيس تحرير مجلة العربي- الكويتية- آنذاك في العام ١٩٧٨م.وتألف الكتاب من ٥٧٢صفحة، وتكون من مقدمة ودراسة لكل شخصية من المائة المختارين حسب الترتيب الذي تم فيه.

وعن سبب اختياره للنبي محمد ﷺ أعظم العظماء في التاريخ، قال مايكل هارت:

(لقد اخترت محمدا ﷺ في أول هذه القائمة، ولابد يندهش كثيرون لهذا الاختيار وعندهم حق في ذلك ولكن محمدا -عليه السلام- هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحًا مطلقا على المستوى الديني والدنيوي. وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات وأصبح قائدا سياسيا وعسكريا ودينيا. وبعد ١٣ قرنا من وفاته فإن اثر محمد ﷺ ما يزال قويا متجددا، وأكثر هؤلاء الذين اخترتهم قد ولدوا ونشأوا في مراكز حضارية ومن شعوب متحضرة سياسيا وفكريا إلا محمد ﷺ فهو قد ولد سنة ٥٧٠ ميلادية في مدينة مكة جنوب شبه الجزيرة العربية في منطقة متخلفة من العالم القديم بعيدة عن مراكز التجارة والحضارة والفن.

وقد مات أبوه وهو لم يخرج بعد إلى الوجود، وأمه وهو في السادسة من عمره وكانت نشأته في ظروف متواضعة، ولما قارب الأربعين من عمره كانت هناك أدلة كثيرة على أنه ذو شخصية فذة بين الناس.

وكان أكثر العرب في ذلك الوقت وثنيين يعبدون الأصنام وكان يسكن مكة عدد قليل من اليهود والنصارى وكان محمد ﷺ على علم بهاتين الديانتين.

وفى الأربعين من عمره امتلأ قلبه إيمانا بأن الله واحد احد، وأن وحيا ينزل عليه من السماء، وأن الله قد اصطفاه ليحمل رسالة سامية إلى الناس.

وأمضى محمد ﷺ ثلاث سنوات يدعو لدينه الجديد بين أهله وعدد قليل من الناس.

وفى ٦١٣ ميلادية أذن الله لمحمد ﷺ بأن يهاجر بالدعوة إلى الدين الجديد فتحول قليلون إلى الإسلام.

وفى ٦٢٢ ميلادية هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة وهى تقع على مدى ٤٠٠ كيلو متر من مكة المكرمة.

وفى المدينة المنورة اكتسب الإسلام مزيدا من القوة واكتسب رسوله عدد كبيرا من الأنصار.

وكانت الهجرة إلى المدينة المنورة نقطة تحول في حياة الرسول ﷺ وإذا كان الذين تبعوه في مكلة قليلين فإن الذين ناصروه في المدينة كانوا كثيرين.

وبسرعة اكتسب الرسول والإسلام قوة ومنعة وأصبح محمد ﷺ أقوى وأعمق أثرا في قلوب الناس. وفى السنوات التالية تزايد عدد المهاجرين والأنصار واشتركوا في معارك كثيرة بين أهل مكة من الكفار، وأهل المدينة من المهاجرين والأنصار. وانتهت كل هذه المعارك في سنة ٦٣٠ بدخول الرسول ﷺ منتصرا إلى مكة.

وقبل وفاته بسنتين ونصف السنة شهد محمد ﷺ الناس يدخلون في دين الله أفواجا، ولما توفى الرسول ﷺ كان الإسلام قد انتشر في جنوب شبه الجزيرة العربية.

وكان البدو من سكان شبه الجزيرة العربية مشهورين بشراستهم في القتال، وكانوا ممزقين أيضًا، رغم أنهم قليلو العدد ولم تكن لهم قوة أو سطوة العرب في الشمال الذين عاشوا على الأرض المزروعة.

ولكن الرسول ﷺ استطاع لأول مرة في التاريخ، أن يوحد بينهم ويملأهم بالإيمان وأن يهديهم جميعا بالدعوة إلى الإله الواحد، ولذلك استطاعت جيوش المسلمين الصغيرة المؤمنة أن تقوم بأعظم غزوات عرفتها البشرية فاتسعت الأرض تحت أقدام المسلمين من شمال شبه الجزيرة العربية وشملت الإمبراطورية الرومانية الشرقية.

وكان العرب أقل بكثير جدا من كل هذه الدول التي غزوها وانتصروا عليها وفي٦٤٢ انتزع العرب مصر من الإمبراطورية البيزنطية كما أن العرب سحقوا القوات الفارسية في موقعة القادسية في ٦٣٧ وفى موقعة نيونى في ٦٤٢ وهذه الانتصارات الساحقة في عهد الخليفتين أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب لم تكن نهاية الزحف العربي والمد الإسلامي في العالم، ففي ٧١١ اكتسحت القوات الإسلامية شمال أفريقيا حتى المحيط الأطلسي.

ثم اتجهت القوات الإسلامية بعد ذلك إلى مضيق جبل طارق وعبروا إلى أسبانيا وساد أوروبا كلها شعور في ذلك الوقت بان القوات الإسلامية تستطيع أن تستولي على العالم كله.

ولكن في سنة ٧٣٢ وفي موقعة تور بفرنسا. انهزمت القوات الإسلامية التي تقدمت إلى قلب فرنسا.

ورغم ذلك فقد استطاع هؤلاء البدو المؤمنين بالله وكتابة ورسوله. أن يقيموا إمبراطورية واسعة ممتدة من حدود الهند حتى المحيط الأطلسي وهي أعظم إمبراطورية أقيمت في التاريخ حتى اليوم. وفي كل مرة تكتسح هذه القوات بلدا.

فإنها تنشر الإسلام بين الناس.

ولم يستقر العرب على هذه الأرض التي غزوها. وإذ سرعان ما انفصلت عنها بلاد الفرس. وان كانت ظلت على إسلامها. وبعد سبعة قرون من الحكم العربي لأسبانيا والمعارك المستمرة. تقدمت عليها الجيوش المسيحية فاستولت عليها. وانهزم المسلمون.

وأما مصر والعراق مهد أقدم الحضارات الإنسانية فقد انفصلتا.. ولكن بقيتا على دين الإسلام.. وكذلك كل شمال أفريقيا.

وظلت الديانة الجديدة تتسع على مدي القرون التالية. فهناك مئات الملايين في وسط أفريقيا وباكستان وأندونيسيا.

بل إن الإسلام وحد بين إندونيسيا المتفرقة الجزر والديانات واللهجات. وفي شبة القارة الهندية انتشر الإسلام وظل على خلاف مع الديانات الأخرى. والإسلام مثل كل الديانات الكبرى. كان له أثر عميق في حياة المؤمنين به).

* * *



الجراح العالمي
موريس بوكاي

الجراح العالمي
موريس بوكاي

ولد "موريس بوكاي" من أبوين فرنسيين، يدينان بالنصرانية، فنشأ مثلهما، وبعد أن أتم تعليمه الثانوي التحق بكلية الطب في جامعة فرنسا، فكان من الأوائل حتى نال شهادة الطب، وارتقى به الحال حتى أصبح أشهر وأمهر جراح عرفته فرنسا الحديثة.

قصة عجيبة غيرت حياته!

طلبت فرنسا من مصر استضافة مومياء -فرعون مصر- إلى فرنسا لإجراء اختبارات وفحوصات أثرية ومعالجة وترميم للجثة، ومحاولة معرفة سر الفراعنة في التحنيط، وعند وصول الجثة إلى فرنسا جرى لها استقبال رسمي كبير فقد كان على رأس مستقبليه الرئيس الفرنسي وأعضاء حكومته، وأطلقت المدفعية إحدى وعشرين طلقة، لينقل بعدها إلى متحف الآثار. وكان "موريس بوكاي" رئيس الجراحين والمسئول الأول عن دراسة المومياء الفرعونية.

وكان اهتمام الباحثين من علماء الآثار في فرنسا وأطباء الجراحة والتشريح مركز على ترميم المومياء، والسبب وراء اهتمام الفراعنة في تحنيط جثث موتاهم بعد الموت، لكن اهتمام موريس بوكاي كان منصبًا على كيفية موت هذه المومياء، وبعد فحص الجثة والملح العالق في جسده تبين له أن فرعون مات غرقًا، وأن فرعون استخرجت جثته بعد غرقه، ليقوموا بتحنيطه، لكن الغريب بقاء هذه الجثة سليمة أكثر من غيرها، فقد كان يعد لاكتشاف جديد، لكنه علم أن قرآن المسلمين يذكر غرق فرعون ونجاة جثته بعد موته، ولكنه استنكر بشدة هذا الخبر، واستغربه، فمثل هذا الاكتشاف لا يمكن معرفته إلا في هذا العصر الحديث وبالوسائل الحديثة، وكيف يكون هذا وهذه المومياء لم تكتشف أصلا

إلا في عام ١٨٩٨م ميلادية أي قبل مائتي عام تقريبا، بينما القرآن نزل قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام.

وأعلن الفريق المعالج النتيجة "المدوية" عندما وجدوا أن بقايا الملح العالق في جسد الفرعون أكبر دليل على أنه مات غريقا.. وأن جثته استخرجت من البحر بعد غرقه فورا، ثم أسرعوا بتحنيط جثته لينجو بدنه!

وهنا راح الطبيب "بوكاي" يتساءل في حيرة، كيف بقيت هذه الجثة دون باقي الجثث الفرعونية المحنطة أكثر سلامة من غيرها رغم أنها استخرجت من البحر!

وكيف يستقيم في العقل هذا، والبشرية جمعاء وليس العرب فقط لم يكونوا يعلمون شيئا عن قيام قدماء المصريين بتحنيط جثث فراعنتهم إلا قبل عقود قليلة من الزمان فقط؟

وراح "بوكاي" يقارن بين ما جاء في كتابهم المقدس (إنجيل متى ولوقا)الذي يتحدث عن غرق فرعون أثناء مطاردته لسيدنا موسى عليه السلام دون أن يتعرض لمصير جثمانه.

وطلب أن يأتوا له بالتوراة، فأخذ يقرأ في "سفر الخروج" من التوراة قوله: "فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر لم يبق منهم ولا واحد".. وزادت حيرة "بوكاي".

وبعد أن تمت معالجة جثمان فرعون وترميمه، أعادت فرنسا لمصر المومياء بتابوت زجاجي فاخر يليق بمقام فرعون! ولكن "بوكاي" لم يهنأ له قرار ولم يهدأ له بال، منذ أن هزه الخبر الذي يتناقله المسلمون عن سلامة هذه الجثة!

فحزم أمتعته وقرر أن يسافر إلى المملكة السعودية لحضور مؤتمر طبي يتواجد فيه جمع من علماء التشريح المسلمين..

وكان أول حديث تحدثه معهم عما اكتشفه من نجاة جثة فرعون بعد الغرق.. فقام أحدهم وفتح له المصحف وأخذ يقرأ له قوله تعالى: (فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) "يونس: ٩٢"..و كان وقع الآية عليه شديدا، ورجت له نفسه رجة جعلته يقف أمام الحضور ويصرخ بأعلى صوته: " لقد دخلت الإسلام وآمنت بهذا القرآن".

وبعدها رجع "موريس بوكاي" إلى فرنسا بغير الوجه الذي ذهب به.. وهناك مكث عشر سنوات ليس لديه شغل يشغله سوى دراسة مدى تطابق الحقائق العلمية والمكتشفة حديثا مع القرآن الكريم، والبحث عن تناقض علمي واحد مما يتحدث به القرآن ليخرج بعدها بنتيجة قوله تعالى: (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) "فصلت: ٤٣"

وكان من ثمرة هذه السنوات التي قضاها الفرنسي "موريس بوكاي" أن خرج بتأليف كتاب عن القرآن الكريم بعنوان: (القرآن والتوراة والإنجيل والعلم.. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة).

وأحدث الكتاب دويا هائلا في الغرب والشرق. ومن أول طبعة له نفد من جميع المكتبات!

ثم أعيدت طباعته بمئات الآلاف بعد أن ترجم من لغته الأصلية (الفرنسية) إلى العربية والإنكليزية والأندونيسية والفارسية والصربكرواتية والتركية والأوردوية والكجوراتية والألمانية.

ورغم حملة العداء التي شنها أعداء الإسلام على الكتاب ومؤلفه، إلا أن الكتاب كان سببا ودافعا لإسلام عدد كبير من الشباب والمفكرين في بلاد الغرب!

يقول "موريس بوكاي" في مقدمة كتابه: (لقد أثارت هذه الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية، فلم أكن أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير

إلى هذا الحد من الدقة بموضوعات شديدة التنوع، ومطابقتها تماما للمعارف العلمية الحديثة، وذلك في نص قد كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا!

ومن آرائه التي توصل إليها بعد دراسة وبحث علمي دءوب، يقول"بوكاي": (لم أجد التوافق بين الدين والعلم إلا يوم شرعت في دراسة القرآن الكريم فالعلم والدين في الإسلام شقيقان توأمان لأن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف يدعوان كل مسلم إلى طلب العلم، طبعًا إنما نجمت إنجازات الحضارة الإسلامية العظيمة عن امتثال الأوامر المفروضة على المسلمين منذ فجر الإسلام".

* * *



المفكروالفنان الفرنسي
"إيتان دينيه"

المفكروالفنان الفرنسي "إيتان دينيه"

وُلد "الفونس إيتان دينيه" في "باريس" العام ١٨٦١م، وهو من كبار الفنانين والرسامين العالميين، ودُوّنت أعماله في معجم "لاروس"، وتزدان جدران المعارض الفنية في فرنسة بلوحاته الثمينة.

ومن أشهر لوحاته لوحة باسم "غداة رمضان" في متحف باريس وله لوحات أخرى في "لوكسمبرج" و"سدني" وغيرهما.

وكما كان "دينيه" يفكر في لوحاته، كان يفكر في مصيره، فراح يبحث عن علاج لطبيعته الدينية القلقة في النصوص المقدسة، وفي العقائد التي يدين بها الوسط المحيط به... فكر في المسيحية والكنيسة.. وفي البابا المعصوم.. وفي عقيدة التثليث والصلب، والفداء، والغفران.. وراح يتساءل في نفسه: "هل صحيح أن المسيح ابن الله؟.. وهل صُلب ليطهر بني البشر من اللعنة التي حلت بهم بسبب خطيئة آدم؟ كيف صُلب ليفتدي البشر وهو ابن الله؟".

ومن هنا أعاد قراءة الأناجيل من جديد محاولًا جهده أن يراها تتسم بسمة الحق، فيؤمن بابن الله، ولكنه رأى فيها ما يتنافى مع الصورة المثلى للإنسان الكامل، فضلًا عن الصورة التي تريد المسيحية أن توحي بها... قرأ أقوالًا غريبة في الأناجيل نُسِبتْ للمسيح، ومنها:

(في اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل، كانت أم يسوع هناك، ودع يسوع تلاميذه إلى العرس ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له: ليس لهم خمر..قال يسوع: مالي ومالك يا امرأة!) "إنجيل يوحنا ـ الإصحاح الثاني عشر".

ومن أقواله التي توجب كراهية الأقرباء:

(إن كان أحد يأتي إلي ولا يبغض أباه وأمه، وامرأته وأولاده، وإخوته وأخواته، حتى نفسه أيضًا، فلا يقدر أن يكون تلميذًا لي) "إنجيل لوقا - الإصحاح الرابع عشر".

كذلك من الأقوال الغريبة التي نسبت للمسيح وقرأها "دينيه":

(وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن إلا الأب) "إنجيل مرقص - الإصحاح الثالث عشر".

وغير ذلك من نصوص بعثت في نفسه شكوكًا في صحة الأناجيل التي اطلع عليها.. الأمر الوحيد الذي لم يشك فيه، أن الله قد أنزل الإنجيل على عيسى بلغته ولغة قومه، ولكن هذا الإنجيل ضاع واندثر، ووجد مكانه "توليفات" أربعة مشكوك في أمرها، يكفي أنها مكتوبة باللغة اليونانية، وهي لغة غريبة عن لغة عيسى الأصلية التي هي لغة سامية!.

وثار شعوره الديني على أوضاع مبهمة، وألفاظ غامضة لا يستطيع فهمها، وانتهى به المطاف بعد بحث وجدل ومناظرات طويلة إلى رفض المسيحية، بعد أن تيقن أن المسيحية الحالية ليست هي مسيحية عيسى، بل لا تمت إليه بصلة، اللهم إلا اسمًا.

ورأى "دينيه" أن يتجه إلى العقل يستمد منه الهداية إلى الطريق المستقيم ولكنه انتهى إلى أن العقل عاجز عن إشباع غريزته الدينية.. والتفت حوله: ماذا فعل أمثاله ممن شكّوا في المسيحية؟!.. لقد رأى أن كثيرًا منهم قد اتجه إلى الإسلام، فاتجه إليه يستكشفه، وبعد دراسة مستفيضة لم يجد سوى القرآن، ذلك الكتاب الوحيد الذي لم ينله التحريف ولا التبديل، وحاول الاستزادة، فعرف الكثير عن الإسلام بحكم معايشته للبيئة الإسلامية، وقد تمخضت هذه المعرفة عن اعتناقه للإسلام باقتناع تام.. بل وصل لأكثر من ذلك، فقام بالدعوة الإسلامية، وكتب عدة مؤلفات قيمة مثل "محمد رسول الله" بالاشتراك مع سليمان الجزائري وقام بترجمته إلى العربية الدكتور عبد الحليم محمود، ومحمد عبد الحليم

محمود، و"أشعة خاصة بنور الإسلام" ترجمة راشد رستم إلى العربية.. "والحج إلى بيت الله الحرام".. و"الشرق في نظر الغرب"وكتاب "ربيع القلوب".

وقد أحدثت كتبه دويّا هائلا في الغرب.

يقول دينيه في كتبه محمد رسول الله: " لقد أكد الإسلام من الساعة الأولى لظهوره أنه دينٌ صالحٌ لكل زمان ومكان، إذ هو دين الفطرة، والفطرة لا تختلف في إنسان عن آخر، وهو لهذا صالح لكل درجة من درجة الحضارة".

وبما أن دينيه كان فنانا موهوبا، فقد لفت نظره الجانب الجمالي والذوق الرفيع للحياة النبوية، يقول: "لقد كان النبي يُعنى بنفسه عناية تامة، وقد عُرف له نمط من التأنق على غاية من البساطة، ولكن على جانب كبير من الذوق والجمال".

وعن حركات الصلاة عند المسلمين قال:

"إن حركات الصلاة منتظمة تفيد الجسم والروح معًا، وذات بساطة ولطافة وغير مسبوقة في صلاة غيرها".

وعن تعدد الزوجات ما بين الإسلام والنصرانية قال:

"إن تعدد الزوجات عند المسلمين أقل انتشارًا منه عند الغربيين الذين يجدون لذة الثمرة المحرمة عند خروجهم عن مبدأ الزوجة الواحدة.. وهل حقًا إن المسيحية قد منعت تعدد الزوجات؟!.. وهل يستطيع شخص أن يقول ذلك دون أن يأخذ منه الضحك مأخذه؟! إن تعدد الزوجات قانون طبيعي، وسيبقى ما بقي العالم، إن نظرية الزوجة الواحدة أظهرت ثلاث نتائج خطيرة: العوانس، والبغايا، والأبناء غير الشرعيين".

وتوفى "دينيه" رحمه الله وقد بلغ من العمر سبعين عامًا وقد احتشد حوله لتوديعه الوداع الأخير عدد كبير من الناس، ومن كبار المسئولين وعارفي فضله من أهله ومن غير أهله من ممثلي الشعوب.. وقد دفن في مدينة "بوسعادة" بالجزائر بناء على وصيته..



رائد الرّومانسية
ألفونس دي لامارتين

رائد الرّومانسية
ألفونس دي لامارتين

ولد رائد الرّومانسية ألفونس دي لامارتين "Alphonse de Lamartine" في العام ١٧٩٠م بـ«ماكون» جنوب شرقي باريس. يتحدر من أسرة نبيلة ريفية وعاش طفولته مع شقيقاته الخمس- وكان بكرهم - في أحضان الطبيعة. غرست والدته في ذهنه باكرًا التعاليم الدينية ثم تولى تدريسه القس دومون وتابع دراسته في معهد اليسوعيين في بلدة بيللِه.

وقام في مقتبل عمره برحلة إلى إيطاليا، محج الفنانين وقلب الثّقافة النّابض في أوروبا آنذاك. التحق مبكّرًا بخدمة الملك لويس الثّامن، وتزامن ذلك مع بداية تفتّق موهبته كشاعر. حاز ديوانه الأول «تأمّلاتٌ شعرية» على نجاح منقطع النّظير، وهو بحقّ أول مجموعة أعمال رومانسية في تاريخ الأدب الفرنسي .

ولقب لامارتين بشاعر البحيرة نسبة إلى أشهر قصائده، كما لقب أيضًا برائد الرومانسية.

وكان لسفرياته لبلدان الشرق أثر كبير في اتجاهه وفكره فقد عاش فترة طويلة في مدينة أزمير في تركيا وانتقل بعدها إلى حلب في سوريا وأعجب بالبلاد العربية وبطرازها الإسلامي وبشعوبها المحافظة. وقد عرضه ميله نحو الإسلام لانتقادات شديدة من قبل الوسط المثقف الفرنسي وحاولوا جاهدين أن يردعوه عن أفكاره هذه.

واستأثرت الموضوعات الدينية بأهميةٍ كبرى في شعر لامارتين، وهو ما يستشعره القارئ بقوّةٍ في مجموعته «تناغمات شعرية دينية» (١٨٣٠). غير أن موت ابنة الشّاعر جوليا سنة ١٨٣٢، وانخراطه المتنامي في العمل السياسي كان لهما عميق الأثر في فكره

وقناعاته الدّينية، تتألّف باكورة إنتاج لامارتين، «تأمّلات شعرية»، من ٢٤ قصيدة كُتِبت بين عامي ١٨١٥ و١٨٢٠، وهي أشبه ما تكون بمذكّراتٍ شخصية لما عايشه الشاعر من تجارب خلال تلك المدّة.

وكتب الشاعر الفرنسي الكبير ألفونس دي لامارتين في القرن التاسع عشر الميلادي نصا نثريا بعنوان "من أعظم منك يا محمد؟" يمدح فيه سيدنا محمدًا ويمجد صفاته وشمائله..

النص من ترجمة د. محمد مختار ولد أباه.ونشرت جريدة الشرق الأوسط في العدد ٩٩٩١ السادس من أبريل ٢٠٠٦م

من أعظم منك يا محمد؟

(لا أحد يستطيع أبدا أن يتطلع، عن قصد أو عن غير قصد، إلى بلوغ ما هو أسمى من ذلك الهدف، إنه هدف يتعدى الطاقة البشرية، ألا وهو تقويض الخرافات التي تجعل حجابا بين الخالق والمخلوق، وإعادة صلة القرب المتبادل بين العبد وربه، ورد الاعتبار إلى النظرة العقلية لمقام الألوهية المقدس، وسط عالم فوضى الآلهة المشوهة التي اختلقتها أيدي ملة الإشراك.

لا يمكن لإنسان أن يقدم على مشروع يتعدى حدود قوى البشر بأضعف الوسائل، وهو لا يعتمد في تصور مشروعه وإنجازه إلا على نفسه ورجال لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد الواحدة، يعيشون في منكب من الصحراء.

ما أنجز أحد أبدا في هذا العالم ثورة عارمة دائبة في مدة قياسية كهذه؛ إذ لم يمض قرنان بعد البعثة حتى أخضع الإسلام، بقوته ودعوته، أقاليم جزيرة العرب الثلاثة، وفتح بعقيدة التوحيد بلاد فارس وخراسان، وما وراء النهر، والهند الغربية، وأراضي الحبشة، والشام، ومصر، وشمال القارة الإفريقية، ومجموعة من جزر البحر المتوسط، وشبه الجزيرة الأيبيرية، وطرفا من فرنسا القديمة.

فإذا كان سمو المقصد، وضعف الوسائل، وضخامة النتائج، هي السمات الثلاث لعبقرية الرجال، فمن ذا الذي يتجاسر أن يقارن محمدا بأي عظيم من عظماء التاريخ؟ ذلك أن أكثر هؤلاء لم ينجح إلا في تحريك العساكر، أو تبديل القوانين، أو تغيير الممالك، وإذا كانوا قد أسسوا شيئا، فلا تذكر لهم سوى صنائع ذات قوة مادية، تتهاوى غالبا قبل أن يموتوا.

أما هو فقد استنفر الجيوش، وجدد الشرائع، وزعزع الدول والشعوب، وحرك ملايين البشر فوق ثلث المعمورة، وزلزل الصوامع والبيع والأرباب والملل والنحل والنظريات والعقائد، وهز الأرواح.

واعتمد على كتاب صار كل حرف منه دستورا، وأسس دولة القيم الروحية فشملت شعوبا من كل الألسنة والألوان، وكتب في قلوب أهلها بحروف لا تقبل الاندثار كراهية عبادة الأصنام المصطنعة، ومحبة الإنابة إلى الواحد الأحد المنزه عن التجسيم. ثم دفع حماسة أبناء ملته لأخذ الثأر من العابثين بالدين السماوي، فكان فتح ثلث المعمورة على عقيدة التوحيد انتصارا معجزا، ولكنه ليس في الحقيقة معجزة لإنسان، وإنما هو معجزة انتصار العقل.

كلمة التوحيد التي صدع بها أمام معتقدي نظم سلالات الأرباب الأسطورية، كانت شعلتها حينما تنطلق من شفتيه تلهب معابد الأوثان البالية، وتضيء الأنوار على ثلث العالم.

وإن سيرة حياته، وتأملاته الفكرية، وجرأته البطولية على تسفيه عبادة آلهة قومه، وشجاعته على مواجهة شرور المشركين، وصبره على أذاهم طوال ١٣ سنة في مكة، وتقبله لدور الخارج على نظام الملأ، واستعداده لمواجهة مصير الضحية بين عشيرته، وهجرته، وعمله الدءوب على تبليغ رسالته، وجهاده مع عدم تكافؤ القوى مع عدوه، ويقينه بالنصر النهائي، وثباته الخارق للعادة عند المصائب، وحلمه عندما تكون له الغلبة، والتزامه بالقيم الروحية، وعزوفه التام عن الملك، وابتهالاته التي لا تنقطع، ومناجاته

لربه، ثم موته، وانتصاره وهو في قبره، إن كل هذا يشهد أن هناك شيئا يسمو على الافتراء، ألا وهو الإيمان؛ ذلك الإيمان الذي منحه ﷺ قوة تصحيح العقيدة، تلك العقيدة التي تستند إلى أمرين هما: التوحيد، ونفي التجسيم؛ أحدهما يثبت وجود البارئ، والثاني يثبت أن ليس كمثله شيء. وأولهما يحطم الآلهة المختلقة بقوة السلاح، والثاني يبني القيم الروحية بقوة الكلمة.

إنه الحكيم، خطيب جوامع الكلم، الداعي إلى الله بإذنه، سراج التشريع.

إنه المجاهد، فاتح مغلق أبواب الفكر، باني صرح عقيدة قوامها العقل، وطريق عبادة مجردة من الصور والأشكال، مؤسس عشرين دولة ثابتة على الأرض، ودعائم دولة روحية فرعها في السماء، هذا هو محمد، فبكل المقاييس التي نزن بها عظمة الإنسان، فمن ذا الذي يكون أعظم منه؟)

حياة محمد

وأما كتاب "حياة محمد" للأديب والشاعر الرومانسي الفرنسي الفونس دي لا مارتين والذي صدر عن مؤسسة البابطين، باريس، ٢٠٠٦ – تحت عنوان "مختارات من كتاب "حياة محمد" ترجمه د. محمد قوبعة وراجعه د. أحمد درويش.

والكتاب كما يقول د. أحمد درويش في مقدمته: (من الأعمال غير المعروفة لهذا الشاعر الشهير، والسبب هو التعتيم الذي لحق به نتيجة الحملة العدائية التي تعرض لها في زمانه من طرف العديد من المثقفين والمفكرين الفرنسيين، نظرًا لما تضمنه الكتاب من آراء مدافعة عن الإسلام ونبيّه.

ويمثل هذا الكتاب المجلد الأول من كتابه "تاريخ تركيا" الذي يشتمل على ستة مجلدات، وخصصه لامارتين من أجل الحديث عن نبي الإسلام وعن السيرة النبوية وسيرة الصحابة. وكانت غايته من الكتابة عن تاريخ تركيا هي التعريف بالأصول الدينية والفكرية لإمبراطوريتها العثمانية، وكذلك تقريب الديانة الإسلامية إلى أذهان عامة الفرنسيين.

ولا شك في أن هذا الكتاب هو من الأعمال الفكرية الكبرى التي تؤسس لدعائم التقارب والتفاهم ما بين الأديان، ويكتسي أهميته من هذا الظرف الذي تكثر فيه محاولات العديد من المغرضين، خاصة في وسائل الإعلام الأوروبية للإساءة، ليس فقط إلى الإسلام والمجتمعات الإسلامية، بل وإلى الجاليات العربية والإسلامية الموجودة في أوروبا وأميركا، والتي أصبحت تشكل عنصرًا بشريًا هامًا في تكوين المجتمعات الأوروبية ذاتها، بالرغم من أن التشكيل المقبل للثقافة الغربية في ضوء هذا الوجود الإسلامي الغربي من المواطنين الغربيين المسلمين في الغرب هو من الأشياء الحتمية لضرورة الأخذ في الاعتبار قيم وثقافات هؤلاء المسلمين في أوروبا.

وفي أيامنا هذه، وبعد انقضاء خمس سنوات على أحداث الحادي عشر من أيلول٢٠٠١ في نيويورك وواشنطن، مازالت أجهزة الإعلام الأوروبية تحفل بأنباء الصراعات والحروب التي يسوّقها الساسة الأميركيون والأوروبيون، ويدعي فاعلوها أنهم يتحدثون باسم الإسلام، فيما يجهد العديد من المفكرين والمثقفين أنفسهم لتأكيد تنظيراتهم لما يسمّونه التصادم بين الحضارات والصراع بين الديانات والثقافات، حتى بات العربي والمسلم في موقع لا يحسد عليه، إذ يجد نفسه بوصفه فردًا ملاحقًا بنظرات الآخرين له وكراهيتهم، وبوصفهم مختلفين عنه ولا يمكنهم العيش معه في سلام دائم.

من هنا تأتي أهمية كتاب لامارتين الذي يقدم كثيرًا من الوضوح في تيسير مهمة التفاهم الحضاري والتعايش الثقافي، كونه جاء بقلم أحد كبار الشعراء والمفكرين الأوروبيين. وهذا لا يقلل من جهود المفكرين العرب والمسلمين حين يحاولون توضيح وتقريب الإسلام للإنسان الغربي، لكن تأويل الإسلام وتقريبه من قلب الحضارة الأوروبية نفسها على يد أقلام كبرى من داخلها مثل لامارتين و"جوتة" يكتسي أهمية كبرى في عصرنا الراهن، وحسبنا أن نتذكر في هذا السياق مقولة الشاعر والفيلسوف الألماني "جوتة" في ديوانه الشعري المسمى بالديوان الشرقي:

"إذا كان الإسلام يعني التسليم لله، فعلى الإسلام نعيش ونموت جميعًا".

ويبدأ لامارتين كتابه زاعمًا أن أصوله العائلية ترجع إلى الدولة الأندلسية، بمعنى أنه كان يبحث بشكل أو بآخر لنفسه عن جذور عربية إسلامية، الأمر الذي يدعم القول بأن دراسة الإسلام لديه ما هي إلا محاولة للتعريف بأصوله الذاتية، لذا نجده يبدأ بتفكيك اسم عائلته إلى "اللامارتيين"، ويترجمه إلى "الخاضعين لأمر الله أو خدام الله". ولا يتوانى في سياق كتابه عن توظيف العديد من التعابير والمفاهيم المسيحية من أجل تقريب الديانة الإسلامية إلى أذهان المسيحيين في أوروبا عامة وفرنسا على وجه الخصوص. فعلى سبيل المثال، حين يتحدث عن الإسلام متوجهًا إلى الكاتب والشاعر الفرنسي ألفريد دو فيني يقول له: "إن الإسلام هو المسيحية المطهّرة". ثم يؤكد المقولة ذاتها من خلال العودة إلى تفاصيل الهجرة الأولى للمسلمين نحو الحبشة، مستشهدا بقول النجاشي في معرض تعليقه على الحوار بين كفار مكة والمسلمين، قائلًا للمسلمين: "ليس هنالك فرق بين ما تقولونه عن المسيح عليه السلام وبين ما تقوله الديانة المسيحية". وهنا يعلق لامارتين على هذه الواقعة بالقول: "من الواضح أن القرآن في حرفه وروحه هو الثمرة التي أينعت في الصحراء بعد بذرة الإنجيل".

* * *



عالم الرياضيات الشهير

البروفيسير جيفري لانج

عالم الرياضيات الشهير

البروفيسير جيفري لانج

ولـد "جيفـري لانـج" بمدينـة برديجبـورت الأمريكيـة في العـام ١٩٥٤م مـن عائلـة كاثوليكية، ورغم أنـه درس بمدرسـة كاثوليكيـة طـوال سـنوات حياتـه إلا أنـه كـان كثـير التساؤل وكثير الشك. وكانت أمـه كاثوليكيـة ملتزمـة وكـان والـده مـدمن خمـر، مـارس العنف الأسري على أمه، وكان وهو صغير يعتقد أن والده يستطيع قتل أمه ضربا.

وأعلن جيفري إلحاده في عمر السادسة عشره، ولم يستطع أحـد قناعـه بوجـود الـرب واستمر على ذلك طول عمره.

وبعد حصوله على الدكتوراه في الرياضيات، وبعـد سـنوات مـن التـدريس في بـدايات ١٩٨٠، تعرف د.لانغ على طالب مسلم كان يدرسه وتوطدت به علاقة صـداقة، وأهـداه الطالب نسخة مترجمة من القرآن، فلما قرأه لأول مرة شعر كأن القرآن هو الذي "يقرأه !.

وأسلم جيفري لانـغ ووضـع كتابـه (الـصراع مـن أجـل الإيـمان) الـذي ضـمّنه قـصة إسلامه، وأصدر بعده كتاب (حتى الملائكة تسأل – رحلة الإسلام إلى أمريكا).

حتى الملائكة تسأل

يـروي جيفـري لانـج في كتابـه «حتـى الملائكـة تـسأل»، الـذي حمـل قـصة إسـلامه، اللحظات التي أسلم فيها: «كنت قد نـشأت في أسرة كاثوليكيـة متـشدّدة لـدينها وتحـارب من أجله كل شيء. تتجاهل الإجابة عن كافـة التـساؤلات التـي كنـت أطرحهـا مـن أجـل معرفة معالم الكون وخصوصياته، خاصة أنني كنت كثـير التـساؤل والـشك عـلى الـدوام، وأشاهد بين الفينة والأخرى ضرب والدي لوالدتي بعد إدمانه الخمر بـشكل عنيـف. وبـما أنني كنت صغيرا آنذاك فقد كنت أعتقد على الدوام بأن باستطاعة والـدي قتـل والـدتي في

أي لحظة يشاء. ولعل تلك المعاملة السيئة داخل الأسرة هي التي جعلتني لا أعير اهتماما لديانتي التي رأيت فيها عذابا كبيرا لي ولوالدتي وبت أبحث بشكل جدي عن دين آخر أكثر تسامحا ومحبة واحتراما للآخر حتى شعرت أنني أصبحت ملحدا بشكل جهوري وأنا لم أتعد حينها السادسة عشرة من عمري».

وجود الرب

أخذت رياح الحياة الأمريكية تعصف بذلك الصبي الصغير حتى أدمن الخمر والمخدرات لفترة تجاوزت السنتين قبل أن يتمكن من الإقلاع عنها بمساعدة والدته وبعض رجال الدين في المدينة، لكن رغم ذلك استمر يبحث عن أي وسيلة يقتنع من خلالها بوجود الرب، فأخذ يسأل عنه حتى لحظة حصوله على درجة الدكتوراة في الرياضيات بداية الثمانينيات من جامعة سان فرانسيسكو، التي التقى فيها بمحمد قنديل، ذلك الشاب المسلم التقيّ الذي أخذ يشرح له تعاليم الإسلام الحنيف بعد أن توطدت علاقتهما، مظهرا له في الوقت نفسه سماحة هذا الدين وشموليته. وفي هذا يقول جيفري لانغ: «كنت في البداية لا أريد أن تتوطد علاقتي بذلك الشاب المسلم، الذي تعرفت عليه بمكتبة الجامعة ولمست فيه سماحة أخلاقه وطيب معاملته لحظة مساعدته لي في جمع الكتب التي تساقطت على الأرض. تلك اللحظة أشعرتني بأنني أعرف ذلك الشخص منذ زمن. شعرت هكذا حينها، وبعد يومين من تلك الحادثة رأيته في المكتبة نفسها وذهبت لشكره على مساعدته لي وأبدى احترامه لي قائلا: لا تشكرني على الإطلاق فهذا واجبي الذي يفرضه علي ديني في مساعدة الآخرين لحظة حاجتهم إلى المساعدة، حينها فقط قلت له دون تفكير: عن أي دين تتحدث؟ فأجابني مبتسما: إنه الإسلام يا أخي».

حقيقة الكون والإنسان

ويضيف جيفري: «بدأت حينها بسؤاله عن هذا الدين وأخذت أشعر بأنه الملاذ الآمن لكل البشرية بعد أن علمت بحقيقة الله والكون والإنسان معرفة حقيقية وليست مزورة كما تربيّنا عليها في ديننا المسيحي، الذي يكره الآخرين ويمجّد نفسه دون غيره. وزاد

تعلقي بهذا الدين بعد أن تعمقت بقراءة القرآن من خلال النسخة المترجمة إلى الإنجليزية التي أهداني إياها محمد قنديل».

ويتابع جيفري: «بعد قراءتي القرآن مرات ومرات قرّرت الذهاب إلى المسجد لأجد بعض الإجابات عن الإسلام وحقيقته، وعندما وصلت إلى أحد المساجد القريبة وجدت نفسي أعلن الشهادة وأصلي مع الجماعة بعد أن شعرت براحة روحية كبيرة حينها. كان المسجد عبارة عن غرفة صغيرة ليس فيها أثاث ما عدا سجادة حمراء. ليست به زينة سوى جدران رمادية اللون فقط ونافذة صغيرة يتسلّل منها النور. بدأ الجميع يقف في صفوف منتظمة ومرتبة، بينما وقفت أنا في الصف الثالث إلى جانب صديقي محمد قنديل وبدأنا بالانحناء على نحو منتظم حتى تلامست جباهنا بالأرض، بينما كان السكون يخيم على المكان سوى كلمات الإمام الذي يرددها بين الفينة والأخرى:الله اكبر. كان شخصا، مثلنا، بسيطا يرتدي عباءة بيضاء يشبه ذلك الشخص الذي كان يراودني على الدوام طوال ليالي متعددة بعد قراءتي القرآن الكريم وقبل إعلان إسلامي في ذلك اليوم. آنذاك فقط أدركت بأنني لا أعيش في حلم، بل في حقيقة كاملة».

صراع من أجل التسليم للإيمان

وفي كتابه (صراع من أجل التسليم للإيمان) والذي ترجمته ونشرته دار الفكر بدمشق عام ١٩٩٨م يلخص لنا جيفري لانج كتابه الرائع ويجيب على أسئلة في غاية الأهمية.

يقول في المقدمة:

لماذا اعتنقت الإسلام ؟" سؤال ألقاه على أحد مستجوبى..ما هي الإجابة التي ستفهمها براءتهم؟ حملق الاثنان في وجهي بلا انفعال، ولكن في شوق لتلقى الإجابة. ربما يكون السؤال فقط لمجرد السؤال، ولمعرفة ما يدور بخلدى.

لا ! أعتقد أن سؤالهم أكثر شخصية من ذلك.. أتذكر في الصغر حينما سألت أبى: "لماذا أصبحت كاثوليكيا؟؟" لم يكن سؤالي حبا للاستطلاع، ولكنه كان نتيجة للبحث عن فهم

ذاتي. وحينما أصبحت مسلما لم يرد بذهني عدد الخيارات التي ستمر بي، ليس بالنسبة لى فقط بل بأبنائى وأحفادى أيضًا. من الطبيعى، فهم يريدون معرفة سبب اتخاذي هذا الموقف، لأنه سيؤثر عليهم حاضرا وفى مستقبلهم المعاش.

فقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: "فاطمة جزء منى، وأنا جزء منها.. سعادتها سعادتي، وحزنها حزني". فالأب يجد التزاما بعلاقته مع بناته. فمن خلال طبيعتهن الأنثوية، يجد الأب أنه يتعاطف معهن، ويتخلى عن طبيعته الرجولية التي يتعامل بها في حياته العادية. هن يتممن ويعادلن حياته، ليس فقط كإناث، بل أيضًا كبناته، وهو يرى تكامل شخصيته فيهن.

"لماذا أصبحت مسلما ؟"... هذا السؤال يختلف معناه بالكلية، حينما يصدر من بناتي، لأنه في هذه الحالة ينبع من داخلي. إنه صدى لي، وهو استجواب طاهر لحقيقة مشاعرى. لقد شرحت لهن الوضع باختصار، حسب إمكانياتى، ولكن ليس بطريقة مفصلة لأنهى الموضوع، فقد أردت أن يصبح الباب مفتوحا لمزيد من الاستفسار. وقد كانت أسئلتهن هي الحافز وراء هذا الكتاب، والذى بدأ كانعكاسات ليلية على تساؤلاتهن. إذا لم تكن أمينا مع بناتك، فأنت غير صادق مع نفسك. ولهذا السبب، لقد بذلت جهدى لأكون مخلصا وأمينا معهن بقدر الإمكان: لأقص الحقيقة "كما هي بالضبط"، معنى هذا أن أقص الإيجابيات والسلبيات التي واجهتنى، والاكتشافات والشكوك، إجابات وأسئلة. ولهذا فلا يعتبر هذا الكتاب، بأنه كتاب موثق عن الإسلام بالولايات المتحدة. بناتي يعلمن أن والدهم ليس عالما مسلما، وكذلك فالمسلمون سيكتشفون ذلك الأمر أيضًا. لهذا فأنا أنوه بهذا الأمر تحذيرا لأولئكم الذين لا يعرفون كثيرا عن الإسلام. وبالنسبة للذين يريدون معرفة الحقائق عن الإسلام، فأرشح لهم كتابات "د. جمال بدوى"، سلسلة التعاليم الإسلامية الممتازة.

هذا العمل أمامك، يمكن وصفه بأنه يصف خبرتى وانطباعى عن الإسلام، أو أنه سيرتى الذاتية العقائدية، أو جريدة شخصية، قد تكون لها أهمية لبعض القراء. وبما أنى لا

أستطيع أن أسجل كل انطباع لى، أو سؤال سألته نفسى، فأنا ألزم نفسى بأن أذكر الأمور العامة التي تهم المهتدين إلى الإسلام، ويمكن نشرها في الصحف والمجلات الإسلامية التي تنشر بالولايات المتحدة. بالإضافة إلى ذلك، فقد حرصت على لقاء بعض الذين اعتنقوا الإسلام حديثا، وأدرجت في هذا الكتاب بعضا من تجاربهم في هذا المضمار.

بعض الموضوعات "الإشارات بالنسبة للقرآن الكريم والعلم" أثارت انتباهى أثناء مراحل تحولى للإسلام، بينما موضوعات أخرى "أسئلة حول الرحمة والعدالة الإلهية" كانت جوهرية في بحثى عن الروحانيات. الفصل الأول، هو لإلقاء الضوء عن كيف أصبحت مسلما ؟ والفصل الثانى، يوضح تأثير القرآن الكريم في توجهاتى. وبالرغم من أنى قد بذلت جهدى في توضيح هذين الموضوعين بالنسبة لتحولى للإسلام، إلا أنى أشعر أن هناك الكثير الذي ما زال غامضا على. الفصول الثلاثة الأخيرة، والتى تشكل الجزء الأكبر من هذا العمل، تعتبر في الحقيقة ملحقات لهذا الموضوع. وتتعلق بالصعاب التي مرت بى بعد اعتناق الإسلام، والصراع الذي واجهته للاندماج والعيش في المجتمع الإسلامى.

عادة ما يكون من يتحول للإسلام من الأمريكيين، هم من النصارى أو اليهود أصلا، ومعنى ذلك أنه أو أنها، قد رفض ديانة سماوية كانت جزءا من التاريخ، لصالح ديانة سماوية أخرى، وثيقة الصلة بديانته السابقة. هذا يشكل تمردا ضد العقيدة السابقة، ولا يخفى أن المعتنقين الجدد للإسلام، غالبا ما كانوا متشككين في تقاليده، خصوصا في أحاديث وسيرة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

التقاليد، الثقافة الإسلامية، تصرفات المسلمين، انتقادات الغرب، كل ذلك يشكل الحيرة والتناقض التي يقع فيها المتحول للإسلام، وهذا هو موضوع الفصل الثالث. المجتمعات الإسلامية بالولايات المتحدة تختلف اختلافا بينا بعضها عن بعض، ثقافة وعادات، ومعظمها له جذور دينية. الغالبية خرجت من مجتمعات لها تقاليد محافظة. وككل المهاجرين الآخرين، فإنهم يصابون بصدمة حين وصولهم للبلاد مما تسبب لهم

الحيرة والخوف. ونفس الشيء يواجه الذين يتحولون عن دينهم الأصلى، لأنه / لأنها يجد نفسه في المجتمع المسلم الجديد الذي لم يتعود عليه، ويعتبر فيه كأقلية. هذا الشعور وهذه الصعوبات يغطيها الفصل الرابع من الكتاب، مع التأكيد على العلاقات مع الأجناس المختلفة. والفصل الأخير يتكلم عن الصعوبات التي تواجهك كمسلم جديد، في أسرة ومجتمع من غير المسلمين.

لقد ترددت بينى وبين نفسى كثيرا، في نشر هذا الكتاب أو عدم النشر. وهذا التردد لم يكن خوفا من المناقشات والمواجهات التي سأقابلها، ولكن لأن هذا الموضوع شخصى جدا. بلا شك فهو ترجمة أمريكية للإسلام، وكيف لا يكون كذلك ؟ لا أستطيع "ولا أتوقع"، أن أتخلص من السنوات الثمانية والعشرون من حياتى السابقة على الإسلام. وسأستمر في اتباع الإستراتيجية التي كنت أتبعها حينما كنت ملحدا: وهو دراسة آراء الطرفين، فالطرف الذي يتكلم من داخل الدين، فقد يلمعه، والطرف الذي يتكلم من خارجه، فعادة يكون متحيزا ضده، والموازنة بين الأثنين هي المطلوبة. وهذا يعنى، أن تكون المقارنة حذرة بين الاتجاهين. ولهذا فإن فهمى للإسلام يتأثر بقول علماء غير مسلمين. على كل حال، فقد شجعنى بعض الأصدقاء المسلمين أخيرا، على نشر هذا الكتاب، منبهين على أن الفكرة التي أتبناها، وهى أن مواجهة الأسئلة الكثيرة التي يثيرها المسلمين الأمريكان تحتاج إلى صراحة ووضوح، وذلك فى سبيل توحيد هذا المجتمع. وبناء على ذلك، فهذا الكتاب يعتبر مساهمة منى في نمو الإسلام بالولايات المتحدة. وككل الكتاب المسلمين الأول أقول، إن ما ورد صحيحا في الكتاب، فهو من رحمة الله وفضله، وما ورد غير ذلك، فإنى أطلب مغفرته وعفوه.

* * *



الكاتب المسرحي العالمي
"برنارد شو"

الكاتب المسرحي العالمي
"برنارد شو"

ولد برنارد شو في دبلن بتاريخ العام١٨٥٦ ... في بيئة متواضعة. وان كانت أسرته من سلالة فرسان العصور الوسطى، وكان هذا الأصل في بؤرة تفكير أهله رغم الظروف التي كانوا يعيشونها وقد تقلب والد شو في عديد من المهن والوظائف. لكن ينتهي به دائما إلى الفشل.. أما والدته فقد عاشت في كنف عجوز من الأثرياء، وقد أتاح لها ذلك أن تتربى تربية النبلاء، وأن تعيش على أمل الثراء في المستقبل بعد أن يؤول إليها الميراث، ولكنها تمردت على هذه الحياة وهي في سن العشرين، واستجابت لنداء "جورج كارشو" وتزوجته، وكانت تأمل من وراء هذا الزواج أن تسعد بالاستقرار، ولكنها لم تلبث أن اكتشفت في زوجها ووالد ابنها برنارد، رجلا يدمن الشراب...

وفي هذا الجو كانت نشأة برنارد شو.. فقد أنجبت أمه من قبل ابنتين، وكان هو الثالث وفي هذا يقول برنارد:- إن ميلاد عبقري يحتاج إلى هذه التجربة التي سبقته بولادة ابنتين. وهذا العبقري الذي يتحدث عن نفسه بهذه اللهجة المتعالية، كان تلميذا فاشلا.. ولم يقدر له أن يتم دراسته. وترك المدرسة وعمل موظفا براتب ١٨ جنيها سنويا في مكتب سمسار عقارات، ثم ترقى وأصبح صرافا بالمكتب إلا أن نفسه ضاقت بهذا الحظ الضئيل، فترك العمل، ورافق أمه إلى لندن حيث أحبت الموسيقي " فنداليريلي".

وكانت البداية صعبة فهو لم يكسب طوال تسعة أعوام من الأدب ما بين (١٨٧٦-١٨٨٥) سوى ستة جنيهات نظير كتابة إعلانات. ولكن هذا الفشل لم يفت في عضد برنارد شو الذي كان يقرأ من الصباح حتى المساء بنهم بالغ.. فقد كان بعناده الإيرلندي على يقين من أن المستقبل له، وأن هذا الظلام لا بد أن ينفرج عن نور ساطع. وكان يبحث

عن الفرصة ما وجد إلى ذلك سبيلا حتى وجدها عند انضمامه إلى الجمعية الفابية ليصبح عضوا فيها، وقد لفتت أسئلته الذكية أنظار كبار الأدباء والمفكرين إليه، وكان أن عين في نهاية الأمر على وظيفة ناقد موسيقى ثم ناقد مسرحي، وعندما جاءته هذه الفرصة أعطاها كل بضاعته، فقد كانت لديه ذخيرة ضخمة نتيجة قراءاته المتعددة من ناحية ونتيجة دراسته الموسيقية من ناحية أخرى.. وكان ما لفت إليه الأنظار هو أسلوبه الفكه اللاذع وهو يقول في ذلك:-

"لكي يسمع ما أقول، اضطررت إلى أن أتكلم على نحو يجعل الناس يتصورون أنني مجنون... مجنون يسمح له الناس بالحقوق والحريات التي يتمتع بها مضحك البلاط" وإلى جانب ذلك الدور الذي قام به في مجال النقد فإنه أعطى للحياة الأدبية ثمرات يانعة بمواصلته التأليف المسرحي، متأثرًا إلى حد كبير بالأديب "إبسن"..

وكانت أول مسرحية مثلت في عام ١٨٩٢ وهي بيوت العزاب.. وخلال عامين استطاع أن يثبت قدميه ككاتب مسرحي بعد أن قدم مسرحيته " السلاح والرجل " في عام ١٨٩٤م.

لقد التزم شو في حياته طريقًا هو أقرب إلى التزهد والتقشف، فقد عاش عزبًا لا يقرب النساء ونباتيا لم يأكل اللحم ولم يشرب الخمر ولم يعرف التدخين وحرم على نفسه القهوة والشاي، لأنه كان يعتقد أن كل استثارة للذهن جريمة اعتداء على الذات الإنسانية.. حتى إن زواجه كان انتصارا لمبادئه التي عاش لها فقد أحبته فتاة إيرلندية ثرية ضاقت بالفراغ وتفاهة الحياة، وشغلت نفسها بالدعوة الاشتراكية والتقت بشو على هذا الطريق وخوفا على سمعتها من الأقاويل تزوجها في سنة ١٨٩٨، وظلت تشاركه حياته حتى توفيت عام ١٩٤٣، فواصل وحيدا رحلة الحياة حتى توفي سنة ١٩٥٠.

وبرنارد شو كاتب مسرحي من الطراز الأول وشاعت مسرحياته في الغرب والشرق ومن أشهرها: بيوت الأرامل - العابث -مهنة السيد وارن -السلاح والإنسان- كانديدا - لن تستطيع أن تتنبأ - ثلاث مسرحيات للمتطهرين - حواري الشيطان - قيصر

وكليوباترا- تحول الكابتن براس باوند- الإنسان والإنسان الخارق-عربة التفاح - الرائد باربرا - القديسة جوان- لا أكاد أصدق- بيجماليون - ومسرحيات أخرى.

وعاش برنارد شو أربعًا وتسعين سنة في قراءة الوعي والتساؤل والتبصر يقول: "لقد كسبتُ شهرتي بمثابرتي على الكفاح كي أحمل الجمهور على أن يعيد النظر في أخلاقه، وحين أكتب مسرحياتي أقصد أن أحمل الشعب على أن يصلح شؤونه وليس في نفسي باعث آخر للكتابة إذ إنَّني أستطيع أن أحصل على لقمتي بدونها".

وظلّت مواقفه إلى آخر عمره، كما كانت في بدايتها، فهو الذي رفض أن يزور الولايات المتحدة الأمريكية حتى لا يرى سخرية القدر بوجود تمثال للحرية في بلدٍ يمتهن الإنسان أينما كان.. ذلك البلد - أمريكا- الذي انتقل من البدائية إلى الانحلال دون أن يعرف الحضارة.

نبي الإسلام مثله الأعلى

وقد أعجب برنارد شو" بشخصية نبي الإسلام محمد ﷺ وأعلن ذلك صراحة ويقال أن له مؤلف أسماه (محمد)، وقد أحرقته السلطة البريطانية. ويقال إنه عندما كتب مسرحية جان دارك حاول أن يمرر من خلالها أفكاره عن الجهاد والاستشهاد والنضال في الإسلام.

وكان المثل الأعلى للشخصية الدينية عند برنارد شو هو النبي محمد- ﷺ- فهو يتمثل في النبي العربي تلك الحماسة الدينية وذلك الجهاد في سبيل التحرر من السلطة، وهو يرى أن خير ما في حياة النبي أنه لم يدّع سلطة دينية سخرها في مأرب ديني، ولم يحاول أن يسيطر على قول المؤمنين، ولا أن يحول بين المؤمن وربه، ولم يفرض على المسلمين أن يتخذوه وسيلة لله تعالى.

وقال "برنارد شو"عن النبي:

(إن أوروبا الآن ابتدأت تحس بحكمة محمد، وبدأت تعيش دينه، كما أنها ستبرئ العقيدة الإسلامية مما أتهمها بها من أراجيف رجال أوروبا في العصور الوسطي.. ولذلك

يمكنني أن أؤكد نبوءتي فأقول: (إن بوادر العصر الإسلامي الأوروبي قريبة لا محالة، وإني أعتقد أن رجلًا كمحمد لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم، لتم له النجاح في حكمه، ولقاد السلام والسعادة المنشودة، كما أن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد، وإن رجال الدين في القرون الوسطي، ونتيجة للجهل أو التعصب، قد رسموا لدين محمد صورة قاتمة، لقد كانوا يعتبرونه عدوًا للمسيحية، لكنني أطلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبة خارقة، وتوصلت إلى أنه لم يكن عدوًا للمسيحية، بل يجب أن يسمي منقذ البشرية، ولقد درست محمدًا باعتباره رجلًا مدهشًا، فرأيته بعيدًا عن مخاصمة المسيح، وأوروبا بدأت في العصر الراهن تفهم عقيدة التوحيد، وربما ذهبت إلى أبعد من ذلك، فتعترف بقدرة هذه العقيدة على حل مشكلاتها بطريقة تجلب السلام والسعادة! فبهذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتي، ولذلك فإذا حكمنا على العظمة بما كان العظيم من أثر في الناس، قلنا إن محمدًا رسول المسلمين أعظم عظماء التاريخ، فقد كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية ودين بلاده القديم دينًا واضحًا قويًا، استطاع أن يبقي إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم، كما أن التاريخ لم يسجل أن رجلًا واحدًا، سوى محمد، كان صاحب رسالة وباني أمة، ومؤسس دولة.. هذه الثلاثة التي قام بها محمد ﷺ، كانت وحدة متلاحمة، وكان الدين هو القوة التي توحدها على مدي التاريخ.

ويقول برنارد شو: (إنه لحكمة عليا كان الرجل أكثر تعرضًا للمخاطر من النساء فلو أصيب العالم بجائحة أفقدته ثلاثة أرباع الرجال، لكان لابد من العمل بشريعة محمد في زواج أربع نساء لرجل واحد ليستعيض ما فقده بعد ذلك بفترة وجيزة).

* * *



اللورد هدلي
"رحمة الله فاروق"

اللورد هدلي
"رحمة الله فاروق"

ولد "اللورد هدلي" سنة ١٨٥٥م، وكان من أكبر شخصيات، ومن أرفعهم حسبا في بريطانيا، ودرس الهندسة في كامبردج، وأعلن إسلامه سنة ١٩١٣م، وأصبح اسمه الشيخ "رحمة الله الفاروق".

وأصدر كتاب "إيقاظ العرب للإسلام" وكتاب "رجل غربي يصحو فيعتنق الإسلام".

و كان لإسلام "اللورد هدلي" أكبر الأثر في تقوية الحركة الإسلامية في بريطانيا، إذْ لم تكد تمر أشهر قليلة على إعلان إسلامه حتى اقتفى أثره أكثر من أربعمائة بريطاني وبريطانية، بعدما استرعى انتباههم ما تَحَدَّثَ به عن محاسن الإسلام، فأقبلوا على قراءة الكتب الإسلامية، ودخلوا في دين الله أفواجًا.

ومن الطريف أن يترأس "رحمة الله فاروق" الجمعية البريطانية الإسلامية، ويتصدى لهجمات الحاقدين على الإسلام، وينبري بقلمه مدافعًا عن دين الله، رادًا الكيد إلى نحور الكائدين الذين يحاولون تصوير الإسلام بأنه دين الشهوات.

وقال هيدلي معبرا عن ساعة اعتناقه الإسلام:

-(لا ريب أن أسعد أيام حياتي هو اليوم الذي جاهرت فيه على رؤوس الأشهاد بأنني اتخذت الإسلام دينًا).

-(فإذا كنت قد ولدت مسيحيًا، فهذا لا يحتم على أن أبقى كذلك طوال حياتي، فقد كنت لا أعرف كيف أستطيع أن أؤمن بالمبدأ القائل: إذا لم تأكل جسد المسيح، وتشرب دمه، فلن تنجو من عذاب جهنم الأبدي!

إنني بإسلامي أعتبر نفسي أقرب إلى النصرانية الحقة مما كنت من قبل، ومن يعادي النصرانية الحقة فلا أمل فيه).

-(لم أولد في الخطيئة، ولست مولود سخط وغضب، ولا أحب أن أكون مع الخاطئين).

-(لقد تملك الإسلام لبي حقا، وأقنعني نقاؤه، فأصبح حقيقة راسخة في عقلي وفؤادي، إذ التقيت بسعادة وطمأنينة ما رأيتهما قط من قبل).

-(بما أننا نحتاج إلى نموذج كامل ليفي بحاجاتنا في خطوات الحياة، فحياة النبي تسد تلك الحاجة، فهي كمرآة نقية تعكس علينا الأخلاق التي تكون الإنسانية، ونرى ذلك فيها بألوان وضاءة..

خذ أي وجه من وجوه الآداب، تتأكد بأنك تجده موضحًا في إحدى حوادث حياة الرسول ﷺ).

رحلته للهداية

وبرغم مولد اللورد هدلي في بيت نصراني عريق، فإنه لم يشعر يومًا في قرارة نفسه بإيمان صادق نحو النصرانية، بل طالما راودته الشكوك في صحة التعاليم التي تروج لها الكنيسة، والطقوس التي يمارسها آباء الكنيسة في صلواتهم وأقداسهم، وطالما توقف بفكره عن أسرار الكنيسة السبعة.

إذ لم يستطع - وهو الإنسان المثقف الواعي - أن يهضم فكرة أكل جسد المسيح عليه السلام أو شرب دمه كما يتوهم النصارى وهم يأكلون خبز الكنيسة ويشربون نبيذها، كذلك لم يقتنع بفكرة فداء البشرية التي هي من أسس عقيدة الكنيسة.. وشاء قَدَرُ الله أن

يسافر إلى منطقة "كشمير" التي يدين أهلها بالإسلام، وذلك من أجل مشروعات هندسية، حيث كان يعمل ضابطًا في الجيش البريطاني ومهندسًا.. وهناك أهدى إليه صديق ضابط بالجيش نسخة من المصحف الشريف حين لمس انبهاره بسلوكيات المسلمين، وكان هذا الإهداء بداية تعرفه الحقيقي على الإسلام، إذْ وجد في كتاب الله ما يوافق طبيعة نفسه ويلائم روحه. وجد أن مفهوم الألوهية - كما جاء في القرآن الكريم - يتوافق مع المنطق والفطرة، ويتميز ببساطة شديدة، كما لمس في الدين الإسلامي سمة التسامح، تلك السمة التي لم يشعر لها وجودًا بين أهله من النصارى الذين عُرِفُوا بتعصبهم ضد الديانات الأخرى، بل ضد بعضهم بعضًا، فالكاثوليك يتعصبون ضد البروتستانت، وهؤلاء بدورهم يتعصبون ضد الأرثوذكس، الذين لا يقلون عن الطائفتين السابقتين تعصبًا ضدهما، فكل فريق يزعم أن مذهبه هو الحق وما عداه باطل، ويسوق في سبيل ذلك من الحجج أسفارًا يناقض بعضُها بعضًا.

ولم يكن بوسع اللورد هدلي إلا أن يميل للإسلام بعد اطلاعه على ترجمة معاني القرآن الكريم، وما قرأه عن العقيدة الإسلامية، وأبطال الإسلام الأوائل الذين استطاعوا أن يصيروا أعظم قواد العالم، وبقوة عقيدتهم أسسوا حضارة عظيمة ازدهرت لقرون طويلة، في وقت كانت أوربًا ترزح تحت وطأة الجهل وطُغيان البابوات والكرادلة. كما وجد اللورد هدلي في الشريعة الإسلامية وسيرة الرسول محمد -ﷺ- وصحابته ومن تلاهم من التابعين القدوة الحسنة التي تروّى روحه العطشى للحق، ولم يصعب عليه أن يدرك أن الإسلام عقيدة وسلوك.

وبرغم اقتناع اللورد هدلي بالإسلام فإنه ظل قرابة عشرين عامًا يكتم إسلامه لأسباب عائلية، حتى كتب له الله أن يعلنه على الملأ في حفل للجمعية الإسلامية في لندن.. وكان مما قاله:

-(إنني بإعلاني إسلامي الآن لم أحِدْ مطلقًا عمّا اعتقدته منذ عشرين سنة، ولمّا دعتني الجمعية الإسلامية لوليمتها سُرِرْتُ جدًا، لأتمكن من الذهاب إليهم وإخبارهم بالتصاقي

الشديد بدينهم، وأنا لم أهتم بعمل أي شيء لإظهار نبذي لعلاقتي بالكنيسة الإنجليزية التي نشأت في حجرها، كما أني لم أحفل بالرسميات في إعلان إسلامي، وإن كان هو الدين الذي أتمسك به الآن.).

- (إن عدم تسامح المتمسكين بالنصرانية كان أكبر سبب في خروجي عن جامعتهم، فإنك لا تسمع أحدًا من المسلمين يذم أحدًا من أتباع الأديان الأخرى، كما نسمع ذلك من النصارى بعضهم في بعض)..

-(إن طهارة الإسلام وسهولته وبُعده عن الأهواء والمذاهب الكهنوتية ووضوح حجته ـ كانت كل هذه الأمور أكبر من أثَّرَ في نفسي، وقد رأيت في المسلمين من الاهتمام بدينهم والإخلاص له ما لم أرَ مثله بين النصارى، فإن النصراني يحترم دينه ـ عادة ـ يوم الأحد، حتى إذا ما مضى يوم الأحد نسي دينه طول الأسبوع.. وأما المسلم فبعكس ذلك، يحب دينه دائمًا، سواء عنده أكان هو الجمعة أو غيره، ولا يفتر لحظة عن التفكير في كل عمل يكون فيه عبادة الله).

ومماأثار دهشة "رحمة الله فاروق" أخلاق النبي ﷺ وقدرته على العفو في معاملته لأسري المشركين في معركة بدر الكبرى، ملاحظًا فيها ذروة الأخلاق السمحة والمعاملة الطيبة الكريمة، وتساءل قائلا:

(أفلا يدل هذا على أن محمدًا لم يكن متصفًا بالقسوة ولا متعطشًا للدماء؟ كما يقول خصومه، بل كان دائمًا يعمل على حقن الدماء جهد المستطاع، وقد خضعت له جزيرة العرب من أقصاها إلى أقصاها، وجاءه وفد نجران اليمني بقيادة البطريق، ولم يحاول قط أن يكرههم على اعتناق الإسلام فلا إكراه في الدين، بل أمنهم على أموالهم وأرواحهم، وأمر بألا يتعرض لهم أحد في معتقداتهم وطقوسهم الدينية ".

ويقول في كتاب " السفر إلى الشرق ":

أعظم حدث في حياتي هو أنني درست حياة رسول الله محمد دراسة واعية، وأدركت ما فيها من عظمة وخلود.

أي رجل أدرك من العظمة الإنسانية مثلما أدرك محمد؟ وأي إنسان بلغ من مراتب الكمال مثلما بلغ؟).

* * *



الأديب والمفكر العالمي
"ليف تولستوي"

الأديب والمفكر العالمي
"ليف تولستوي"

ولد الكونت "ليف تولستوى" في العام ١٨٢٨م في "ياسنايا بوليانا"، وهي ضيعة صغيرة قرب موسكو. وتوفي والداه عندما كان صبيًا، وتولت خالته تربيته. وقد تلقى تولستوي تعليمه الابتدائي على يد مدرسين خصوصيين أجانب.

وفي عام ١٨٤٤م التحق تولستوي بجامعة قازان، إلا أنه سرعان ما ضَجِر من طريقة التدريس، فترك الدراسة عام ١٨٤٧ قبل أن يتخرج، وعاد إلى مسقط رأسه. وبدأ تولستوي ينهل من مصادر العلم والمعرفة بدون مساعدة أحد. في عام ١٨٥١ سافر إلى القوقاز حيث شارك في الحرب القوقازية. وألّف هناك روايته الأولى "الطفولة" التي استند فيها على ذكرياته شخصية. وبعد فترة تابع كتابة سيرته الذاتية مؤلفا روايتين وهما: "الفتوّة" و"أيام الشباب".

واشترك تولستوي في حرب القرم بين الأعوام ١٨٥٦-١٨٥٣، متطوعا في الجيش، وأظهر شجاعة فائقة، لكنه كره الحرب، وأثرت فيه النتائج المأساوية للحرب .وحقق الشهرة لدى نشر مقالاته عن حرب القرم تحت عنوان "قصص من سيفاستوبول".ونال موضوع الحرب اهتماما كبيرا في مؤلّفاته وخصوصا في أشهر رواياته "الحرب والسلام". وهي ملحمة تاريخية تغطي الحوادث السياسية والعسكرية في أوروبا فيما بين الأعوام ١٨٠٥ و١٨٢٠، ويتناول فيها تولستوي غزو نابليون لروسيا عام ١٨١٢. وأنجز تولستوي في عام١٨٧٧ رائعته الثانية "أنا كارنينا" التي عالج فيها قضايا اجتماعية وأخلاقية وفلسفية تصور مأساة امرأة وقعت في أسر العواطف الجامحة. ويعري فيها الكاتب الأسس العائلية الزائفة لمجتمعه.

وتتربع الروايتان " الحرب والسلام" و"أنا كارنينا" على قمة الأدب الواقعي، فهما يعطيان صورة واقعية للحياة الروسية في تلك الحقبة الزمنية. ويبرز تولستوي فيهما كروائي ومصلح اجتماعي وداعية سلام ومفكر.

وفي عام ١٨٦٢ تزوج تولستوى من صوفيا اندرييفنا بيرس، بعد أن ترك الجيش، وقام تولستوى بعدة رحلات إلى غرب أوروبا، عكف فيها على تعلم أساليب التدريس، وطرق التربية. وعند عودته إلى ضيعته، افتتح مدرسة لأولاد الفقراء، كان التعليم فيها معتمدًا على الأساليب التربوية التي تعلمها تولستوي خلال رحلاته. كما أنشأ مجلة تربوية بعنوان "ياسنايا بوليانا" طرح فيها أفكاره التربوية ونشرها بين الناس.

وتعمق تولستوي في القراءات الدينية، وقاوم الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا، ودعا للسلام وعدم الاستغلال، وعارض القوة والعنف في شتى صورهما.ولكن الكنيسة لم تقبل آراء تولستوي التي انتشرت بسرعة، فكفرته وأعلنت حرمانه من رعايتها. وأُعجب بآرائه عدد كبير من الناس وكانوا يزورونه في مقره بعد أن عاش حياة المزارعين البسطاء تاركًا عائلته الثرية المترفة. وهو كفيلسوف أخلاقي اعتنق أفكار المقاومة السلمية النابذة للعنف وتبلور ذلك في كتاب "مملكة الرب بداخلك" وهو العمل الذي أثر على مشاهير القرن العشرين مثل المهاتما غاندي ومارتن لوثر كينج في جهادهما الذي اتسم بسياسة المقاومة السلمية النابذة للعنف.

وتعد قصة "البعث" أشهر أعماله التي كتبها في أواخر حياته، وتليها في الشهرة قصة "الشيطان"ورواية "الميت الحي" ومسرحية " سلطان الظلام" وروايات "كريتسيروفا سوناتا"، و"الحاج مراد" و "وفاة إيفان إيليتش" وقصة " الأب سيرغي" والتي توضح عمق معرفته بعلم النفس، ومهارته في الكتابة الأدبية. وقد اتصفت كل أعماله بالجدية والعمق وبالطرافة والجمال.

وتوفي تولستوي سنة ١٩١٠ في قرية استابو حين هرب من بيته وحياة الترف، وأصيب بالالتهاب الرئوي في الطريق، وكان قد بلغ من العمر ٨٢ عاما. ودفن في حديقة ضيعة ياسنايا بوليانا بعد أن رفض الكهنة دفنه وفق الطقوس الدينية الأرثوذكسية .

ولأنه كان كثير الانتقاد لقادة الأديان وصاح بهم صيحات انتقاد وسخرية حكموا عليه بإلحاده.

وعندما رأى تحامل أهل الأديان الأخرى على الدين الإسلامي، هزته الغيرة على الحق إلى وضع رسالة عن نبي الإسلام وبعض تاريخ حياته فقال فيها:

(ولد نبي الإسلام في بلاد العرب من أبوين فقيرين وكان في حداثة سنه راعيا، يميل إلى العزلة والانفراد في البراري والصحاري، متأملا في الله خالق الكون..

لقد عبد العرب المعاصرون له أربابا كثيرة وبالغوا في التقرب إليها واسترضائها، وأقاموا لها العبادات وقدموا لها الضحايا المختلفة.

وكان كلما تقدم به العمر ازداد اعتقادا بفساد تلك الأرباب، وأن هناك إلها واحدا حقيقيا لجميع الناس والشعوب.

وقد ازداد إيمان محمد بهذه الفكرة فقام يدعو أمته وأهله إلى فكرته، معلنا أن الله اصطفاه لهدايتهم وعهد إليه إنارة بصائرهم وهدم دياناتهم وعباداتهم الباطلة.. وراح يعلن عن عقيدته وديانته.

وخلاصة هذه الديانة التي نادى بها هذا الرسول هو أن الله واحد –لا إله إلا هو– ولذلك لا يجوز عبادة غيره.. وبأن الله عادل ورحيم بعباده، وأن مصير الإنسان النهائي متوقف عليه وحده، فإن الله يأجره في الحياة الآخرة أجرًا حسنا.. وإذا خالف شريعة الله وسار على هواه فإنه يعاقب في الآخرة عقابًا أليمًا.. وأن الله تعالى يأمر الناس بمحبته ومحبة بعضهم بعضا، ومحبة الله تكون بالصلاة، ومحبة الناس تكون بمشاركتهم في السراء والضراء... وأن الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر يقتضي عليهم أن يبذلوا وسعهم في

البعد عن كل ما من شأنه إثارة الشهوات النفسية والابتعاد عن الملذات الدنيوية.. وإنه يحتم عليهم ألا يخدموا الجسد ولا يعبدوه، بل عليهم أن يخدموا الروح ويهذبوها.. ومحمد لم يقل عن نفسه إنه نبي الله الوحيد بل اعتقد أيضًا بنبوة موسى وعيسى، وقال إن اليهود والنصارى لا يُكرَهون على ترك دينهم.

وفي سني دعوته الأولى احتمل كثيرًا من اضطهادات أصحاب الديانة القديمة شأن كل نبي قبله نادى أمته إلى الحق ولكن هذه الاضطهادات لم تثن من عزمه بل ثابر على دعوة أمته..وقد امتاز المؤمنون كثيرًا عن العرب بتواضعهم وزهدهم في الدنيا وحب العمل والقناعة وبذلوا جهدهم في مساعدة إخوانهم في الدين عند حلول المصائب بهم. ولم يمض على جماعة المؤمنين زمن طويل حتى أصبح الناس المحيطون بهم يحترمونهم احتراما ويعظمون قدرهم.وراح عدد المؤمنين يتزايد يوما بعد يوم. ومن فضائل الدين الإسلامي أنه أوصى خيرًا بالمسيحيين واليهود ورجال دينهم، فقد أمر بحسن معاملتهم. وقد بلغ من حسن معاملته لهم أنه سمح لأتباعه بالتزوج من أهل الديانات الأخرى.. ولا يخفى على أصحاب البصائر العالية ما في هذا التسامح العظيم.. ثم ختم كلمته قائلا: لا ريب أن هذا النبي من كبار الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة خدمة جليلة، ويكفيه فخرا أنه هدى أمته برمتها إلى نور الحق وجعلها تجنح للسلام وتكف عن سفك الدماء وتقديم الضحايا، ويكفيه فخرا أنه فتح لها طريق الرقي والتقدم وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أوتي قوة وحكمة وعلما.. ورجل مثله جدير بالإجلال والاحترام).

حكم النبي محمد

وأما كتابه الشهير "حكم النبي محمد" الذي كتبه تولستوي عندما رأى تحامل الملحدين والمنصرين على الدين الإسلامي ورسوله ﷺ ونسبتهم إلى صاحب الشريعة الإسلامية أمورًا تتنافى مع الحقيقة. وهزته الغيرة على الحق الذي يعرفه، وشعر في أعماقه بأن السكوت عن البيان ليس من سمات الكاتب الحر، والمفكر الأصيل.

وفي يوم من الأيام وقع في يد تولستوي كتاب (أحاديث الرسول محمد) ويحوي بعض الأحاديث النبوية المترجمة للإنجليزية والتي نقلها الفيلسوف المسلم الهندي الجنسية "عبد الله السهروردي"، وبعد أن اطلع عليها "تولستوي"، أعجبته فترجمها إلى اللغة الروسية، وقدم لها مقدمة تتسم بالإنصاف التام، والإعجاب الكامل برسول الله محمد ﷺ.ونشرها (قبل عام من وفاته) سنة ١٩٠٩م باللغة الروسية في دار نشر "بوسريندك".

وقام "سليم قبعين" وهو عربي مسيحي بترجمة كتاب "تولستوي" العام ١٩٠٨م، وصدر الكتاب عن مطبعة التقدم في مصر، وهي أول ترجمة عربية له.

ونشرته مكتبة النافذة في مصر (سنة٢٠٠٧م) بدراسة وتعليق دكتور محمود النجيري.

وفي مقدمة الكتاب كتب" تولستوي" مقدمة، تحدث فيها عن قضايا كثيرة تتصل بالإسلام والمسلمين في روسيا، ولخص في كتابة الأصول البارزة للدين الإسلامي، وعرض لحياة النبي محمد ﷺ، وتقشفه وصبره ومعاناته مع الكفار. وضرب أمثلة من أقوال المستشرقين وغيرهم.

وقال تولستوي يصف النبيﷺ في كتابه(حكم النبي محمد):

-(هو مؤسس دين ونبي الإسلام الذي يدين به أكثر من مائتي مليون إنسان (الكلام عام ١٩١٢م) قام بعمل عظيم بهدايته وثنيين قضوا حياتهم في الحروب وسفك الدماء، فأنار أبصارهم بنور الإيمان وأعلن أن جميع الناس متساوون أمام الله).

وقال: (لقد تحمل في سنوات دعوته الأولى كثيرًا من اضطهاد أصحاب الديانة الوثنية القديمة وغيرها، شأن كل نبي قبله نادى أمته إلى الحق ولكن هذه المحن لم تثن عزمه، بل ثابر على دعوة أمته مع أن محمدًا لم يقل إنه نبي الله الوحيد بل آمن أيضًا بنبوة موسى والمسيح، ودعا قومه إلى هذا الاعتقاد أيضًا، وقال إن اليهود والنصارى لا ينبغي أن يكرهوا على ترك دينهم بل يجب عليهم أن يتبعوا وصايا أنبيائهم).

وقال أيضًا: (ومما لا ريب فيه أن النبي محمد كان من عظماء الرجال المصلحين الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة، ويكفيه فخرًا أنه هدى أمة بأكملها إلى نور الحق وجعلها تجنح إلى السكينة والسلام، وتؤثر عيشة الزهد ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية، وفتح لها طريق الرقي والمدنية، وهذا عمل عظيم لا يقوم به شخص مهما أوتي من قوة، ورجل مثل هذا جدير بالاحترام والإجلال).

- واختار تولستوي من أحاديث الرسول- ﷺ- بلغت ٦٤ حديثا وضمنها كتابه ومنها:

- لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.
- ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.
- إن الله عز وجل يحب أن يرى عبده ساعيا في طلب الحلال.

إعجابه بالإسلام

وأشار عدد من المقربين للمفكر العبقري تولستوي أنه اعتنق الإسلام، ومن هؤلاء الأديبة الروسية المهتدية "فالاريا بروهوفا"وكانت قد تزوجت من عربي وقضت مع زوجها ١١ عامًا في المملكة العربية السعودية، وأتقنت اللغة العربية، وقامت بترجمة القرآن إلى اللغة الروسية.

وقالت الأديبة "فالاريا بروهوفا": (إن تولستوي قد أسلم في أواخر حياته بعد قيامه بدراسة الإسلام، وأوصى أن يدفن كمسلم، وتستدل على ذلك بعدم وجود إشارة الصليب على شاهد قبره. وقد بذلت الحكومة الروسية جهدها في إخفاء هذه الحقيقة؛ خوفًا من انتشار خبر إسلامه، الذي كان سيحدث تيارًا من حب الإسلام بين أفراد المجتمع الروسي، المعجبين بكتاباته. ومع أن كتب وروايات تولستوي طبعت كلها مرات متعددة، إلا أن الرسالة الصغيرة لم تطبع ثانية.

وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي تم طبع الرسالة بالروسية عام ١٩٩٠م، وفي عام ٢٠٠٥م قامت دار نشر تركية في إسطنبول بترجمة هذه الرسالة إلى اللغة التركية).

ومما يذكر أن تولستوي لم يُعجب بالفلسفة الشيوعية التي كانت قد انتشرت بسرعة بين المثقفين الروس آنذاك، ولم يجد فيها ما يشبع عقله وقلبه وروحه، بل فضل الإسلام عليها. ولعل رسائله التي كتبها إلى إحدى القارئات، توضح مدى إعجابه بالإسلام، وربما اعتناقه له في أغلب الاحتمالات.

ولقد كانت آراء هذا الفيلسوف الروسي موضع تقدير الأستاذ الشيخ محمد عبده فكتب لهذا الفيلسوف يقول فيها:

(أيها الحكيم الجليل مسيو تولستوي:لم نحظ بمعرفة شخصك ولكنا لم نحرم التعارف مع روحك سطع علينا نور من أفكارك وأشرقت في آفاقنا شموس من آرائك ألفت بين نفوس العقلاء ونفسك، هداك الله إلى معرفة سر الفطرة التي فطر الناس عليها وإلى الغاية التي هدى البشر إليها، فأدركت أن الإنسان جاء هذا الوجود لينبت بالعلم، ولأن تكون ثمرته تعبا ترتاح به نفسه، وسعيا يبقى ويربي جنسه، وشعرت بالشقاء الذي نزل بالناس لما انحرفوا عن سنة الفطرة، ولمّا استعملوا قواهم التي لم يمنحوها إلا ليسعدوا بها، فيما كدر راحتهم، وزعزع طمأنينتهم. ونظرت نظرة في الدين مزقت حجب التقاليد، ووصلت بها إلى حقيقة التوحيد، ورفعت صوتك تدعو الناس إلى ما هداك الله إليه، وتقدمت أمامهم بالعمل لتحمل نفوسهم عليه، فكما كنت بقولك هاديا للعقول كنت بعملك حاثا للعزائم والهمم، وكما كانت آراؤك ضياء يهتدي بها الضالون كان مثلك في العمل إماما يقتدي به المسترشدون، وكما كان وجودك توبيخا من الله للأغنياء كان مددا من عنايته للضعفاء الفقراء، وإن أرفع مجد بلغته، وأكبر جزاء نلته على متاعبك في النصح والإرشاد هو هذا الذي سماه الغافلون بالحرمان والإبعاد فليس ما حصل لك من رؤساء الدين سوى اعتراف منهم أعلنوه للناس أنك لست من القوم الضالين، فاحمد الله على أن فارقوك في أقوالهم كما كنت فارقتهم في عقائدهم. هذا وإن نفوسنا لشيقة إلى ما يتجدد من

آثار قلمك، فيما تستقبل من أيام عمرك. وإنا نسأل الله أن يمد في حياتك ويحفظ عليك قواك ويفتح أبواب القلوب لفهم قولك، ويسوق النفوس إلى التأسي بك في عملك والسلام).

* * *



الدبلوماسي الألماني
الدكتور مراد هوفمان

الدبلوماسي الألماني

الدكتور مراد هوفمان

ولد "مراد ويلفريد هوفمان" Murad Wilfried Hofmann - سنة ١٩٣١ في بلدة "أشافنبورغ" في شمال غرب "بافاريا" التابعة لمنطقة "فرنكونيا السفلى" بألمانيا، وكان هوفمان كاثوليكي الديانة قبل تحوله للإسلام عام ١٩٨٠.

وكان في صباه منتميا لشبيبة هتلر، وإلى جانب ذلك كان منتميا إلى عصبة محظورة مناهضة للنازية في ذات الوقت.

وبعد تخرجه بدرجة مرتبة الشرف في كلية الحقوق في جامعة ميونيخ، أعد أطروحة دكتوراه عن ازدراء المحكمة في القانون الأمريكي والألماني، وحصل هوفمان على منحة بحثية من كلية الحقوق بجامعة هارفارد في كامبريدج، ماساشوستس، مما أتاح له الحصول على شهادة البكالوريوس في الفقه الأمريكي "ماجستير في القانون".

وهناك تزوج من امرأة أميركية أنجبت له ابنا. وفي عيد ميلاد ابنه ١٨، كتب رسالة من ١٤ صفحة كهدية له على فلسفة الحياة وكيفية اكتشاف الحقيقة. وقد نشرت هذه الرسالة في وقت لاحق في كتاب يحكي فيه قصة تحوله إلى الإسلام في عام ١٩٨٠م.. وأما الآن فيعيش هوفمان مع زوجته- الثانية- التركية في إسطنبول.

وعمل منذ الخمسينات في سفارة ألمانيا الاتحادية في الجزائر وهذا ما جعله يشاهد عن قرب الثورة الجزائرية التي يبدو أنها أثارت اهتمامه الشديد ودفعته للتأمل. وعمل كخبير في مجال الدّفاع النّووي في وزارة الخارجية الألمانية وكان إسلامه موضع جدل بسبب منصبه الرّفيع في الحكومة الألمانية. وعمل كمدير لقسم المعلومات في حلف الناتو في

بروكسل من عام ١٩٨٣ حتى ١٩٨٧ ثم سفيرا لألمانيا في الجزائر من ١٩٨٧ حتى ١٩٩٠ ثم سفيرا في المغرب من ١٩٩٠ حتى ١٩٩٤م.

وبعد إسلامه ابتدأ د.هوفمان مسيرة التأليف ومن مؤلفاته، كتاب يوميات مسلم ألماني -الإسلام عام ألفين- الطريق إلى مكة - وكتاب الإسلام كبديل- الذي أحدث ضجة كبيرة في ألمانيا.

إسلامه

يذكر د. هوفمان أنّ من أسباب تحوله إلى الإسلام: ما شاهده في حرب الاستقلال الجزائرية، وولعه بالفن الإسلامي إضافة إلى التناقضات الكثيرة التي تواجهه في العقيدة المسيحية البولسية.

و في مقتبل عمره تعرض هوفمان لحادث مرور مروّع، فقال له الجرّاح بعد أن أنهى إسعافه: "إن مثل هذا الحادث لا ينجو منه في الواقع أحد، وإن الله يدّخر لك يا عزيزي شيئًا خاصًا جدًا".

وصدّق الله حدس هذا الطبيب إذ اعتنق د.هوفمان الإسلام بعد دراسة عميقة له، وبعد معاشرته لأخلاق المسلمين الطيبة في المغرب.. ولما أشهر إسلامه حاربته الصحافة الألمانية محاربة ضارية، وحتى أمه لما أرسل إليها رسالة أشاحت عنه وقالت: "ليبق عند العرب."

ويحكي هوفمان عن تجربته مع الإسلام فيقول في كتابه الطرق إلى مكة:

.وأما أنا، فكنت لسنوات، بل لعقود، منجذبا إلى الإسلام كالمغناطيس، لأنني ألفت أفكاره، كما لو كنت قد عايشته من قبل. لقد وجهتني على هذا الدرب ثلاثة أحداث أساسية، ذات طبيعة إنسانية، وجمالية فنية، وفلسفية، ويرتبط أول هذه الأحداث ارتباطا عجيبا بالجزائر. ففي عام ١٩٦٠، أمضيت شهرين في Chateau Neuf sur Loire

لأتمكن من إجادة اللغة الفرنسية، استعدادا لامتحانات القبول بوزارة الخارجية، وهناك، كنت اقرأ يوميا تقارير الصحافة الفرنسية عن حرب الجزائر.

وأضاف هوفمان: في اختبار القبول بوزارة الخارجية الألمانية، كان على كل متقدم أن يلقي محاضرة لمدة لا تتجاوز خمس دقائق في موضوع يحدد عشوائيا، ويكلف به قبلها بعشر دقائق. ولكم كانت دهشتي عندما تبين لي أن موضوع محاضرتي هو "المسألة الجزائرية". وكان مصدر دهشتي هو مدى علمي بهذا الموضوع، وليس جهلي به. وبعد شهور قليلة من الاختبار، وقبل أن أتوجه إلى جنيف بوقت قصير، أخبرني رئيس التدريب، عندما التقينا مصادفة أثناء تناولنا للطعام، أن وجهتي قد تغيرت إلى الجزائر. في أثناء عملي بالجزائر في عامي ٩١٦١/ ١٩٦٢، عايشت فترة من حرب استمرت ثماني سنوات بين قوات الاحتلال الفرنسي وجبهة التحرير الوطني الجزائرية، وانضم أثناء فترة وجودي هناك طرف ثالث هو "منظمة الجيش السري"، وهي منظمة إرهابية فرنسية، تضم مستوطنين وجنودا متمردين. ولم يكن يوم يمر دون أن يسقط عدد غير قليل من القتلى في شوارع الجزائر. وغالبا ما كانوا يقتلون رميا بالرصاص على مؤخرة الرأس من مسافة قريبة. ولم يكن لذلك من سبب، إلا كونهم عربا، أو لأنهم مع استقلال الجزائر. وكنت عند سماعي صوت سلاح آلى، اتصل تليفونيا بزوجتي الأميركية لتسرع إلى شراء ما تحتاج إليه، لأن الهجوم التالي في المنطقة نفسها لا يتوقع حدوثه قبل عشرين دقيقة.

وكانت أنبل مهماتي هي إعادة أفراد الفرقة الأجنبية من الألمان الفارين إلى الوطن بمعاونة من السلطات الفرنسية. وكان عدد هؤلاء الرومانسيين المساكين غير قليل، منذ فر قائد قوات المظلات في العام السابق. وكم كان الموت يجذبهم! وكانت منظمة الجيش السري قد جندت عددا منهم ضمن قوات خاصة (كوماندوز). ومن ثم وجدوا أنفسهم بين نارين. كما أن فرص نجاتهم من الموت كانت ضئيلة جدا. وكنت، بصفتي ممثلا للقنصلية العامة الألمانية، أضع الزهور على قبور الكثير منهم. كنت، وأنا أبحث عن ألمان بين الجرحى في المستشفيات، أحمل سلاحي معدا للاستخدام. وكنت أدقق النظر في وجه

من يقابلني، بل وفي يديه. وعندما كانت القامات تتقابل، كان كل شخص يبتعد عن الآخر عائدا إلى الخلف، طلبا للأمان، وفي بعض الأحيان كانت زوجتي المذعورة تصر على حماية ظهري، فكانت تسير خلفي على مسافة عدة خطوات حاملة في كم ثوبها سكينا حادة.

ويسترجع هوفمان بعض الذكريات قائلا: "وما يزال بعض ذكريات تلك الأيام يثير كآبة في نفسي حتى الآن. فعندما كنت في طريقي إلى مقر إذاعة فرنسا، حيث كان من المقرر أن ألقي، تنفيذا لتكليف من القنصل العام، محاضرة عن "وضع الرقص المسرحي" في ألمانيا، تعطلت مضخة البنزين في سيارتي الفولكس فاجن من طراز "الخنفسة" في شارع إيزلي الضيق، كثير المنحنيات. وسرعان ما اصطفت السيارات خلف سيارتي، مطلقة أصوات النفير، وفي تلك الأثناء، كان أمامي رجل يعبر الشارع، وأطلق عليه شخص الرصاص من الرصيف المقابل، فسقط جريحا أمام رفرف سيارتي الأيسر، وإذا بالمهاجم يشير لي بسلاحه آمرا أن اواصل سيري، كي أخلي ساحة إطلاق الرصاص. ولم أكن ارغب في ذلك، بل ولم أكن أستطيعه أيضًا، وأخيرا، تقدم الشخص الذي يحمل السلاح من الرجل المصاب وأطلق عليه رصاصة أخرى أردته قتيلا، ثم اختفى في زحام البشر في تؤدة وعلى مهل. ولقد استأت كثيرا أيضًا، عندما رأيت مضطرا أعضاء منظمة الجيش السري، وهم يشعلون النار في سيارات شحنوها سلفا ببراميل من الوقود، ويدفعونها من فوق منحدر إلى حي يسكنه العرب. ولا بد للمرء من أن يتوقع أن يكون على قائمة القتلى، إذا ما أصبح شاهدا غير مرغوب فيه. وكان حلاقي في الابيار يدرك ذلك جيدا، فحين هاجمت قوات "منظمة الجيش السري" مكتب التلغراف المقابل لمحله في شارع جاليني، أدار مقعده حتى لا يكون شاهدا على ما يجري. ولم يكن تصرفه أقل غرابة من تصرف أحد أفراد الشرطة الذي عرض علي في مايو (أيار) عام ١٩٦٢ أن يحرس سيارتي، بينما كانت النيران مشتعلة خلف ظهره في مكتبه بالابيار.

عندما توصل الرئيس الفرنسي شارل ديجول، في إيفيان في مارس (آذار) عام ١٩٦٢، إلى اتفاق مع الحكومة المؤقتة لجبهة التحرير الوطني الجزائري على وقف إطلاق النار في يوليو (تموز) التالي، صعدت منظمة الجيش السري من أعمالها الإرهابية، بهدف استفزاز الجزائريين لخرق الاتفاق، فبدأ أفرادها في تصفية النشء الأكاديمي الجزائري، وراحوا يقتلون، رميا بالرصاص، النساء اللاتي يرتدين الحجاب. وقبل تحقيق الاستقلال بأيام قلائل، أطلقوا الرصاص على آخر بائع جزائري جائل في الابيار، فأردوه قتيلا أمام مكتبي مباشرة. وكان هذا البائع قد عاش ينادي على أسماكه منذ عقود طويلة، دون أن يلحق أذى بأي إنسان كائنا من كان. وفي الشارع الذي كنت أقطنه، كان جيراني من الفرنسيين يلقون من النوافذ على المتصرين بكل ما لا يبخلون به. وكانت الثلاجات التي يلقون بها تسقط على أكوام من القمامة التي لم تزل منذ أسابيع، وهو ما كان من حسن حظ الفئران.

الاحتكاك عن قرب بالإسلام

شكلت هذه الوقائع الحزينة خلفية أول احتكاك لي عن قرب بالإسلام المعيش. ولقد لاحظت مدى تحمل الجزائريين لآلامهم، والتزامهم الشديد في رمضان، ويقينهم بأنهم سينتصرون، وسلوكهم الإنساني، وسط ما يعانون من آلام. وكنت أدرك أن لدينهم دورا في كل هذا. ولقد أدركت إنسانيتهم في أصدق صورها، حينما تعرضت زوجتي للإجهاض تحت تأثير "الأحداث" الجارية آنذاك. فلقد بدأت تنزف عند منتصف الليل، ولم يكن باستطاعة سيارة الإسعاف أن تحضر إلينا قبل الساعة السادسة صباحا، بسبب فرض حظر التجول، وبسبب شعار "القتل دون سابق إنذار" المرفوع آنذاك. وحينما حانت الساعة السادسة، أدركت وأنا أطل من نافذة مسكني في الطابق الرابع، أن سيارة الإسعاف لا تستطيع العثور علينا، لأن منظمة الجيش السري كانت قد غيرت في تلك الليلة أسماء كل شوارع الحي الذي أقطنه، بحيث أصبحت كلها تحمل أسماء مثل شارع "سالان" وشارع "يهود" وشارع "منظمة الجيش السري".

بعد تأخير طال كثيرا، كنا في طريقنا متجهين إلى عيادة الدكتور شمعون (قبل أن تنسفها منظمة الجيش السري بوقت قصير)، حيث صادفنا حاجزا أقامته الجمعية الجمهورية للأمن، وعلى الرغم من صفير البوق الذي كان السائق يطلقه، فإنه لم يكن باستطاعته أن يشق طريقه إلا ببطء شديد، وكانت زوجتي تعتقد، في تلك الأثناء، أنها ستفقد وعيها. ولذا، وتحسبا للطوارئ، راحت تخبرني أن فصيلة دمها هي O ذات RH سالب. وكان السائق الجزائري يسمع حديثها، فعرض أن يتبرع لها ببعض من دمه الذي هو من نفس فصيلة دمها. ها هو ذا العربي المسلم يتبرع بدمه، في أتون الحرب، لينقذ أجنبية على غير دينه. لكي أعرف كيف يفكر ويتصرف هؤلاء السكان الأصليون المثيرون للدهشة، بدأت أقرأ "كتابهم".. القرآن في ترجمته الفرنسية لـPesle/Tidjani. ولم أتوقف عن قراءته منذ ذلك الحين، حتى الآن، وحتى تلك اللحظة، لم أكن قد تعرفت على القرآن إلا من خلال النوافذ المفتوحة لكتاتيب تحفيظ القرآن في ميزاب جنوب الجزائر، حيث يحفظه أطفال البربر، ويتلونه في لغة غريبة عنهم، وهو ما دهشت له كثيرا. وفيما بعد أدركت أن حفظ وتلاوة القرآن، باعتباره رسالة الله المباشرة، فرض تحت الظروف كافة. ولقد أزعجني رد الفعل الغاضب من جانب أحد الجزائريين، عندما حدثته في بار فندق ترانس ميدترانيان في غرداية، عن قراءتي للقرآن، إذ استنكر في صراحة لا ينقصها الوضوح، وجود ترجمات له. واعتبر محاولة ترجمة كلام الله إلى لغة أخرى بمثابة تجديف. ولم أستغرق وقتا طويلا قبل أن أستوعب رد فعله. فاللغة العربية تشتمل على مفردات لا تدل على وقت محدد بعينه. فالمفردات التي تشير إلى مستقبل مؤكد يمكن أن تدل على أمر حدث في الماضي أيضًا. ناهيك عن أن اللغة العربية تتضمن بعض ما يمكن للعربي أن يفهمه تلميحا. وبغض النظر عن ذلك، فهناك المشكلة المعتادة التي تكمن في أن الكلمات التي تعبر عن ذات المعنى في لغتين لا تتطابق في ما يختص بتداعي الخواطر إلا نادرا. ومن ثم، فإن كل ترجمة للقرآن إن هي إلا تفسير يفقر المعنى ويجرده من مضمونه. وهكذا كان الرجل في البار على حق.

لم تشأ هذه الجزائر، التي أدين لها بالكثير، أن تتركني لحالي، وإنما تبعتني كالقدر. فعندما أصبحت سويسرا ترعى مصالحنا في الجزائر، في عام ١٩٦٦، كان على أن أعمل من السفارة الألمانية في برن على استمرار الاتصال مع من تبقى من بعثتنا الدبلوماسية في الجزائر، من خلال القسم السياسي في السفارة السويسرية. وكان البريد المرسل من بون إلى الجزائر، يمر من خلالي أسبوعيا. وبعد ٢٥ عاما من عملي بالجزائر لأول مرة، عدت إليها سفيرا في عام ١٩٨٧. ومنذ اعتمدت سفيرا في المغرب، المجاور للجزائر، في عام ١٩٩٠، يندر أن تفارق مخيلتي صورة الجزائر التي ما تزال تعاني آلاما مأساوية، فهل يمكن أن يكون ذلك كله محض مصادفة؟!

الفن الإسلامي

وقال هوفمان: هدتني إلى الإسلام أيضًا، تجربة مهمة، ذات طبيعة جمالية متصلة بالفن الإسلامي، ولهذه التجربة، قصة تتلخص في أنني "مولع بالجمال"، وكنت منذ صباي معجبا بالجانب الشكلي للجمال، وأرغب الغوص في أعماقه حتى عندما كانت حماتي الأميركية تقول - استنادا إلى المنهج البيوريتاني - إن الجمال مجرد أمر سطحي، وأنه ليس إلا خداعا على السطح. عندما تلقيت في عام ١٩٥١ الدفعة الأولى من منحة التفوق، التي تمنحها وزارة الثقافة في بافاريا "للموهبين جدا"، دفعتها بأكملها ثمنا لشراء نسخة مطبوعة على قطعة من الجوت من لوحة بول جوجان: "الفتاة وثمار المانجو". وبما أنني لم أكن ممن يقطنون حي Maximilianeum الواقع على اليمين من نهر إيزار Isar، وإنما كنت أقيم في المستوطنات السكنية للثوريين الديمقراطيين، عند ميدان ماسمان، حيث يتقاسم العمال والطلبة غرفها، فقد نقلت لوحة جوجان التي اشتريتها إلى مسكني هناك، ورحت أحللها، ولم ألبث أن اقتنعت بأن الفن الساكن (غير المتحرك) - الرسم والنحت والعمارة والخط والأعمال الفنية الصغيرة - مدين بالفضل في تأثيره الجمالي للحركة المجمدة، ومن ثم، فإنه مشتق من الرقص. ولذلك، يزداد إحساسنا بجمال الفن التشكيلي كلما ازدادت قدرته على الإيحاء بالحركة. وهذا هو ما يفسر انبهاري الشديد بالرقص الذي

دفعني إلى مشاهدة عروض الباليه كافة في مسرح برينزرجنتن في ميونخ. ومنذ ذلك الحين ازداد اهتمامي بالرقص، واتسع ليشمل كل ما يتصل به. وكنت أقضي كل ساعة فراغ بين مواعيد المحكمة في صالات عروض الباليه، بالقرب من قصر العدل. وحصلت على تمارين للباليه، لكي أتعلم ـ ولو على نحو متخلف ـ رقص الباليه الكلاسيكي، حتى أعرف ماهية ما أكتب عنه. ويعتمد هذا الفن اللطيف، في نهاية الأمر، على جهد بدني خارق، وهكذا تعلمت أن أميز، على سبيل المثال، بين الحركات المختلفة وأساليب أدائها.

كان أكثر ما يروق لي هو مدرسة لونافون زاخنوفسكي الروسية، التي تعيش في المنفى، ولقد تربت في هذه المدرسة تلميذات نجيبات مثل انجيلا البريشت، ومنها تكونت في منتصف الخمسينات فرقة "باليه زاخنوفسكي"، التي قدمنا بواسطتها عروضا راقية في ميونخ وفي مدن أخرى في بافاريا. وكنت مسؤولا عن التعاقدات، والدعاية والإضاءة، ووحدة الماكياج. وفي عام ١٩٥٥، أسست في ميونخ بالاشتراك مع كارل فيكتور برينتس تسوفيد، جماعة أصدقاء الباليه، وتوليت معه باب نقد الرقص في صحيفة ميونخ المسائية.

كانت المراحل التالية في حياتي هي بإيجاز: العملِ في ما بين عامي ١٩٥٤ و١٩٨٠ ناقدا متخصصًا للباليه في صحف في ألمانيا وبريطانيا وأميركا، والعمل محاضرا لمادتي تاريخ وعلم جمال الباليه بمعهد كولونيا للباليه في ما بين عامي ١٩٧١ و١٩٧٣، وتقدمت بمذكرات إلى وزير الثقافة الألماني حول تأسيس باليه قومي ألماني. ولم يكن بعض معارفي يعلم أن القانون والدبلوماسية هما مهنتي الأساسية، وليس الباليه. وكان الكتاب الأثير حقا عندي، هو كتاب جيلبرت وكونز عن تاريخ علم الجمال كعلم فلسفي. وكعاشق للباليه، ذلك الفن المجرد الذي يجسد الموسيقى، كنت في الواقع أبحث عن الأسباب التي ترغمنا على الإحساس بجمال أشياء أو حركات بعينها. ولهذا السبب، كنت أقبع لأسابيع طويلة في إحدى الغابات البافارية باحثا في أسس علم جمال الحركة. وهناك تبين لي أننا كبشر لا نملك إلا أن نحس جمال الجسد البشري الصحيح وما يتطابق مع مقاييسه. وهو ما ينطبق أيضًا علينا كمحللين بصريين لما تفرزه الطبيعة من صور وأنواع. يضاف إلى ذلك

أننا نقرأ الصور في ذات الاتجاه الذي نكتب فيه. وتبين لي أخيرا أن الحركات تستحوذ على انتباهنا بسبب ما يمكن أن تنطوي عليه من مخاطر. وتبين لي آخرا اننا نعجب بحركات الطرد المركزي، لأننا نستطيع أن نتخيلها ممتدة في ما لا نهاية. عبر هذا الطريق، صار الفن الإسلامي بالنسبة لي تجربة مهمة ذات قيمة عالية ومثيرة، ألا يماثل في سكونه تماما ما أسعدني في حركات البالية، التجريدية: القدرة الإنسانية، والحركة الداخلية، والامتداد في ما لا نهاية؟ وذلك كله في إطار الروحانية التي يتسم بها الإسلام.

وألهمتني أعمال معمارية، مثل الحمراء في غرناطة والمسجد الكبير في قرطبة، اليقين بأنها إفراز حضارة راقية رفيعة. واستوعبت جيدا ما كتبه راينر ماريا ريلكا بعد زيارته لكاتدرائية قرطبة، إذ كتب: ".. تملكني منذ زيارة قرطبة عداء وحشي للمسيحية، إنني أقرأ القرآن وهو يتجسد لي صوتا يستوعبني بقوة طاغية، واندفع بداخله كما تندفع الريح في الأرغن". وصار الفن الإسلامي لي وطنا جماليا، مثلما كان الباليه الكلاسيكي من قبل، وأصبحت أرى الأعمال الفنية للعصور: الإغريقي والروماني والقوطي، ولعصر النهضة والروكوكو مثيرة، وعريقة، وأصيلة، بل وعبقرية، ولكنها لا تنفذ إلى داخلي، ولا تحرك عواطفي ولا مشاعري.

الإسلام كبديل

وهذا الكتاب عبارة عن سلسلة من الفصول المتنوعة، أي كأنها مقالات كتبها هوفمان جُمعت في كتاب واحد، يبلغ عدد الفصول واحدًا وعشرين فصل، بمئة وست وستين صفحة.

بدأ الكتاب بكلمة للمُعرِّب، ثم المُقدمة التي كتبتها المستشرقة الألمانية الكبيرة آنا ماريا شمل.

وعندما تتنقل بين فصول الكتاب، ستجد كيف أن الإسلام –من خلال منظور مسلم غربي– يمكن أن يكون بديلًا لأديان الغرب، لإيمان الغرب، لأنظمة الغرب، لقوانين

الغرب، لأخلاقيات الغرب، ولكثيرٍ من الأمور التي يفرض الإسلام -من خلال نزاهة وسمو قيمه وعصمة مصدره- نفسه كبديل.

واعتمادًا على التاريخ الطويل من المواجهة بين الغرب والإسلام، بدأ الكتاب بفصل يحمل العنوان ذاته "الإسلام والغرب"، كي يصل المؤلف في نهاية هذا الفصل إلى تقرير (وجوب تقابل الطرفين بشيء من التسامح، ويُسهّل ذلك فهمٌ أفضل من كل طرف للآخر).

وفي فصول أخرى، ناقش المؤلف بعض التهم التي تُلصق بالإسلام والمسلمين، كتهمة "الأصولية" و"الإرهاب"، و"العنف وعدم التسامح"، وأن الإسلام قد هضم حقوق المرأة وظلمها، وأن الإسلام هو دين حرب، لا يركن أهله إلى السلام.

وقد فند هذه التهم، وردّها بما شهد عليه وبما عاشه، وبما درسه وقرأه.

عن العنف، تلك التهمة التي ألصقت بالإسلام إلصاقًا، يأتي تفنيدها من القرآن بآيات عدة، ويضع هوفمان على رأس هذه الآيات هذه الآية، وذلك حينما كتب قائلًا:

(وتمثل الآية ٢٥٦- سورة البقرة، العقل والقلب في هذا التسامح الفكري والعملي وقبول الاختلاف على أنه من السنن الكونية "لا إكراه في الدين").

وفي الفصل الأخير يُعري لنا مراد هوفمان الغرب كله، بل والشرق معه، حينما تعاون الجميع في قتل مسلمي البوسنة، كيف تواطأ الجميع مع الصرب في قتلهم المسلمين، (فبدلًا من يشق الناتو طريقه بالقوة لفك حصار سراييفو المستمر ثلاث سنوات، قرر الناتو بكل "إنسانية" أن يمد سراييفو بكوبري-جسر- جوي من الأطعمة، وذلك الكوبري الذي يفتحه الصرب وقتما يشاءون ويُصادرون منه ما يريدون).

ويؤكد هوفمان أن ما حدث في البوسنة، لم يحدث منذ عصر ستالين وهتلر، لقد كانت حربًا دينية حقيقية، (ومع هذا لم يتدخل العالم-المتحضر- عسكريًا، ولكنه انشغل في

المساعدات الإنسانية! وعمل بجد واجتهاد حتى يضمن للمسلمين أن يُعذبوا أو يُغتصبوا أو يموتوا وهم "شبعانون").

وتحت عنوان "الدين الكامل" في كتابه الإسلام كبديل كتب هوفمان يقول:

يعزو المبشرون المسيحيون انتشار الإسلام السريع في غرب إفريقيا والسنغال والكاميرون وساحل العاج إلى أسباب، منها بساطة تعاليمه وخلوها من التصورات الغيبية الغامضة المعقدة. وإذا كان هذا صحيحًا، فلا محالة إذن أيضًا أن يكفي فصل واحد من هذا الكتاب لتصوير هذا الدين.

ولكي يكون المرء مسلمًا، فلا بد من توافر شرطين اثنين فيه: الأول: الإيمان بإله واحد، مع تنزيهه عن الجنس، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، آثاره الملموسة في العالم تدل على وجوده. الشرط الثاني: الإيمان بما أنزله الله من الوحي، كما هو متجلّ في الحنيفية البيضاء من إبراهيم إلى محمد ﷺ.

إن المسلمين يؤمنون بوجود الله، لأن وجوده ثابت لهم بثبوت وجود الوجود أو العالم، إذ لكل معلول علة ولكل وجود مُوجِد أوجده، وهذه حقيقة أولية جلية حادثة فعلًا، رغم إدراك المسلمين أن النظر العلمي لا يطمئن إلى البرهنة بواسطة المحسوس الماديّ، على الغيبي غير المادي المحجوب، خاصة لمعرفتهم أن المنطق البشري ليست لديه الصلاحية المطلقة للتحقق والتثبت وإصدار القول الفصل في مسائل الغيب هذه.

في الشطر الأول من الشهادة التي ينطق بها المسلم عن اعتقادٍ يؤكد إيمانه بالله بقوله:

"أشهد أن لا إله إلا الله"، ونتبه تنبيهًا إلى أن المسلم لا يَشهدُ اللهَ... وإنما يشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، فينزّه الله تعالى عن الصاحبة والولد والشريك والتثليث وكل شكل من أشكال الشرك بالله، وفقًا لسورة الإخلاص (قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يَلد ولم يُولد. ولم يكن له كُفوًا أحد). (سورة الإخلاص).

مع هذا يعتبر المسلمون الموحدون، من وجهة النظر الفلسفية لنظرية المعرفة "لا أدريين" إذا تناول البحث ذات الله وطبيعته وكنهه سبحانه وأفعاله وما هو فيه من شأن، فهذه مسائلُ لا يخوض فيها المسلم، أي إنه فيها "لا أدريّ" وقصارى الجهد أن يجب لاجئًا إلى تعريفات سالبة أي تقوم على النفي، فتنفي عن الله كذا وكذا، مثلًا: الله ليس محدودًا ببداية أو نهاية، أو مثل: يستحيل كونه غير موجود.

كذلك يعتقد المسلم أنه لا يمكنه أن يهتدي لولا هدايةُ الله، إذا تُرِكَ للطبيعة وحدها يستهديها لذا يؤمن بضرورة الوحي لمعرفة الهُدى من الضلال، والحقُّ في جانب المسلم استنادًا إلى دراستنا لقوانين الطبيعة.

ثم إن المسلمين يؤمنون أن الله بَيّن لعبيده حقًّا طريق الهدى، وذلك عن طريق أنبياء التوحيد المرسلين، مثل إبراهيم وموسى وعيسى، وختم الله هذه الرسالات بالقرآن (هُدىً للناس) والذي نَزّلَهُ على محمد خاتم النبيين والمرسلين، كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم في سورة الأحزاب، الآية ٤٠: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم، ولكن رسول الله، وخاتم النبيين، وكان الله بكل شيء عليمًا)، لهذا يؤكد الشطر الثاني من الشهادة أن محمدًا رسول الله، وهذا الشطر لازم كل اللزوم لإتمام الشهادة أما ختم شيء أو أمرٍ فمعناه، عند الحديث عن الوحي، أنه تم واكتمل.

هذا الكمال والإتمام لم يكن متوافرًا قبل محمد، بالرغم من إبلاغ موسى لرسالة الله، وبالرغم من إبلاغ عيسى كذلك، فبقيت الحاجة بعد عهدهما ماسة إلى الإكمال، وكانت هناك إمكانية - في عهد الرسول - لتحقيق ذلك الإكمال.

أما الحاجة إلى الإكمال والتقويم، فلزمت لخروج اليهود والنصارى على الطريق المستقيم، في اعتقاد المسلمين، فاليهود زعموا أن بينهم وبين الله عهدًا، فهم شعبه المختار، (الذي لن تمسه النار إلا أيامًا معدودة)، والنصارى فقد زعموا أن عيسى ابنُ الله المماثلُ له في طبيعته الإلهية.

أما اليوم، فتصف كلمة مسلم الإنسانَ الذي يلتمس سلامته بإسلامه أموره لله ويجد هذه السلامة في هدي القرآن الذي يبين له حدود الله، والذي يحوي غير المنسوخ من الكتب السماوية السابقة على الإسلام. هكذا يلتزم المسلم الحق بالوصايا العشر الواردة في التوراة، وبالإيثار وحب الآخرين الذي ألحّ عليه وأوصى به الإنجيل (في العهد الجديد)، وهو بعد ذلك يؤمن بالأصول الست التي يؤمن بها اليهودي والمسيحي الملتزمان، وذلك كما بيّنها القرآن لنا في سورتي البقرة، الآية ٢٨٥، والنساء الآية ١٣٦:

- وجود الله.
- وجود مخلوقات غير مرئية لنا (الملائكة).
- نزول كتب سماوية على بعض الأنبياء.
- إرسال الله رسله وأنبياءه إلى الأمم.
- القيامة والبعث يوم الحساب.
- القضاء والقدر.

بعد ذلك ينفرد الإسلام بأنماط سلوكية تتمثل في الفرائض والعبادات، وقواعد الإسلام الخمس إلى جانب الشهادة:

١ - شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

٢- إقامة الصلاة (الصلوات المفروضة).

٣- إيتاء الزكاة.

٤- صوم رمضان.

٥- حج البيت من استطاع إليه سبيلا.

الإسلام يلحّ على الإيمان والعمل معًا، كما في سورة العصر المكية: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].

فقد يخطئ المسلم فيذنب، دون أن يطعن هذا في كونه مسلمًا، أما تارك الصلاة، الذي يقطع صلته بالله، فليس من اليسير اعتباره مسلمًا، فالصلاة المفروضة لا بد من أدائها، أما الأدعية والصلوات غير المفروضة (السنّة) فليست بفرض يحاسب المسلم على تركه، إنها تَقَرُّب إلى الله بذكره كثيرًا وتسبيحه بكرة وأصيلًا، (ونحن نعلم كيف كان الرسول يتهجد ويقوم الليل، نصفه أو ثلثه).

والمسلم يؤمن أن القرآن كلمة الله، وأنه ليس مخلوقًا من المخلوقات، وأن الله أوحاه إلى محمد بلسان عربي مبين في تلك الفترة الزمنية المحددة، وهو معجزة الإسلام الوحيدة، والدليل القاطع والبرهان الساطع على نبوة محمد.

ليس القرآن إذن كالعهد القديم أو الجديد، حيث يَقُصُّ فيهما شخص ما حديثًا غير مباشر عن شخص أو شيء أو عن الله... أما القرآن، فإن القاصّ الذي يقص أحسَنَ القَصَص هو الله مباشرةً سبحانه، يُخبر الله فيه عمّن يشاء أو عمّا يشاء، كما يُعلّمنا أن ننزّهه عن الجنس والنظير والشبيه... فيخبر عن نفسه بضمير المفرد المتكلم، وضمير المتكلم الجمع، وضمير الغائب المفرد، لكي نظل واعين بمسألة تَنَزُّهه سبحانه عن التجسيد أو التشخيص.

ومع أن القرآن لا يمكن ترجمته دون فقد جانب مهم من المعنى، يكفي سببًا لذلك طبيعة اللغة العربية ذاتها، والقادرة على صياغة جمله خبرية غير مرتبطة بالتقسيم الزمني الذي نعرفه وغير خاضعة له، وبسبب ثراء نظمه المتساوق المترابط المحكم، فقد أصبح الكتاب الوحيد الذي تعددت ترجماته في لغة واحدة، أكثر من أي كتاب مترجم في العالم، وجاوزت طبعاته أعلى رقم لأي كتاب مترجم في تاريخ الطباعة، فضلًا عن أنه الكتاب

الوحيد الذي يحفظه عن ظهر قلب مئات الآلاف من مختلف الأجناس (حتى من غير الناطقين بالعربية)، بل إن لغته العربية أصبحت حبلًا يعتصم به أكثر من مليار مسلم في العالم الإسلامي وحده: فتجد أن نحوه وتراكيبه اللغوية وألفاظه ومشتقاتِها أسدت للّغة العربية الكثير، فأصبحت اللغة الوحيدة، التي يستطيع الناطقون بها، المتوسط والثقافة، أن يقرؤوا نصوصها التي يزيد عمرها عن ألِف وأربعمائة عام، دون الحاجة إلى ترجمتها إلى "لغة عربية حديثة".

إن فهم القرآن فهمًا سليمًا يتطلب الإحاطة بأشياء، منها: قراءة تفاسيره لمعرفة أسباب النزول، أو مناسبة السياق والملابسات المتعلقة بالنصِ مباشرة، والإطار العام غير المنفصل عن الآيات المراد فهمها.

مع ذلك يلزم الانتباه الشديد إلى طبيعة التفسير والمفسر، ووجهات النظر الذي يحتفل بها، فهناك اختلافات تمليها المذاهب والمشارب والثقافة والغاية، فتفاسير الشيعة قد تخالف تفاسير السنّة، كذلك تفاسير الفقهاء المنصرفة إلى المعاني الحرفية، والظاهر، وتفاسير أهل الباطن، وتفاسير الصوفية، غير تفاسير العقلانيين، ولا بد كذلك من الالتفات إلى عصر التفسير، فالطبري الذي عاش في القرن التاسع يختلف عن محمد أسد المولود في القرن العشرين.

ثم إن البَصَرَ بالسُنّة والحديث لازمٌ أشدّ اللزوم، فما كان النبي ﷺ ينطق عن الهوى، فأقواله وأفعاله وإثباته لقولٍ أو فعلٍ أو إنكاره لهما، على درجة كبيرة من الأهمية لفهم الإسلام والقرآن. لقد كان محمد الإنسانُ الرجلُ بشرًا، بلغ من استواء الشخصية والشفافية والصفاء والأمانة، والوعي والفطنة أعلى مقام، ثم إنه كان موهوبًا آتاه الله الحكمة والنبوة وجوامع الكلم، ولا أدل على استواء شخصيته، وتوافر تلك الصفات في شخصه الكريم، من شكّه شخصيًا أن يكون الإنسانَ المختارَ المكلفَ بأداء الأمانة وإبلاغ الرسالة على أكمل وجه، كما أمره الله... ولقد عَلِمنا أن القرآن يراه المثل الأعلى البشري أو

القدوة الحسنة، أو كما وصفه ربه (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وذكر الله كثيرا) (الأحزاب، الآية ٢١)، فأمر بطاعته، والسير على سنّته.

لا ضير إذن أن نرى المقتدين بسنّته ﷺ يسعون جاهدين إلى التزام هذه السنّة حتى في المظاهر الخارجية (فيقصّون الشوارب ويَعفُون اللحى، ويستعملون السّواك، ويفضّلون العسل... وغير ذلك من المعروف عن طباع الرسول في سيرته)، كذلك حرصهم على الختان الذي لم يذكره القرآن، فقد عرفه إبراهيم وذكره العهد القديم، والمسلمون، مهما كان مذهبهم، متبعون لهذه السنّة الحميدة.

-الفروق بين المسلم والمسيحي كما أراها:

١ – يعيش المسلم في عالمه الذي لا يوجد فيه نظام القساوسة الكاثوليك الإكليريكي (الإكليروس) ولا نظام التدرج الوظيفي في مراتب القساوسة الصارم، ولا يتخذ وسيطًا أو شفيعًا مهما علا قدره عند الصلاة أو الدعاء، بينما يتوسل المسيحي بعيسى ومريم أو الروح القدس أو غير ذلك من القديسين عندما يتضرع أو يبتهل أو يصلي... هذه البيئة أقرب إلى طبيعة الإنسان الراشد العاقل من المناخ المألوف في الكنيستين البيزنطية والكاثوليكية، والذي يقوم على شعائر دينية وأسرار "كهنوتية" يباشرها رجل الدين المسيحي، لينال الماثل أمامه المسيحي بركاتِ الرب...

٢ – يحرص الإسلام على السلامة العامة لكافة أفراد المجتمع، وذلك بتحريمه المطلق للحم الخنزير، والخمور والمسكرات، والمخدرات أيًا كان نوعها، ويلح في الوقت نفسه على المسؤولية التامة لمن يسيء تعاطي العقاقير السامة أو نحوها من مواد الإدمان بدلًا من استخدامها في التداوي من الأمراض وشؤون الطب المشروعة. كذلك، فإن الانتظام في أداء الصلوات المفروضة، في مواقيتها المشروعة، في خشوع وتأمل، يتيح تخفيف حدة التوتر والإجهاد اليومي، فيعود ذلك بالخير على الفرد والمجتمع، وهذا لا يتأتّى بأداء قدّاس الأحد أو بابتهال الصباح القصير سواء كان المبتهل وحده أو مع جماعة من المبتهلين المسيحيين.

٣- يبيح الإسلام العلاقة الجنسية المشروعة بين الرجل والمرأة، ويوصي بها ليتمتع الإنسان، الذكر والأنثى بممارسة هذا الحق الطبيعي، وبدون تحفظ على العكس من التصوير "الشيطاني" للعلاقة الجنسية المشروعة بين الرجل والمرأة في كتابات "بولس الرسول" الواردة بالإنجيل الحالي، والتي تشين الزواج افتراءً وتمدحُ العزوبية، داعيةً إلى الرهبانية، والتي تسبب للكاثوليك في كثير من الآلام والمعاناة، والعقد الجنسية، والشعور بالذنب وغير ذلك من المشكلات... هذا الحظر وتشويه النظرة إلى الجنس تسببًا كذلك في رد الفعل الرافض لرسالة بولس الرسول بشأن الجنس، والذي يبدو واضحًا في الانحلال الخلقي والإباحية الجنسية التي لا ترعوي مكتسحةً العالم الغربي، ولا ينساق الإسلام خلف الغرب في التردي في هذه الوهدة الوخيمة العواقب.

٤- إن وصية المسيحية أن يحب الإنسانُ الغير كحبه لنفسه عسيرٌ التزامها، بل إن المسيحي العادي لا يستطيع أن يلتزم بها، بل إنها عبء ثقيل عليه ينوء ضميره بِحَمله، تمامًا كالعبء الذي يرزح تحته المسيحي المؤمن الذي عليه أن يلتزم بنظرة بولس الرسول للجنس.

تحت هذه الأعباء النفسية تقوى لدى المسيحي الناحية السلبية بما لها من عواقب نفسية وخيمة للتعاليم المعروفة مثل الخطيئة الأصلية الموروثة، ويمكن استغلال هذه الناحية استغلالًا سيئًا يتلاعب بأحاسيس الجماهير بإشعارها بالذنب واستحقاقها تحمل العقاب أو التكفير.

على العكس من هذا نجد الإسلام يتبع الصراط المستقيم، الصراط الوسط، الذي ليس من اليسير أداء بعض فرائضه (مثل صلاة الفجر والصوم) لكن أداء هذه الفرائض وأمثالها، في حدود الإمكان البشري المعتاد. فضلًا عن ذلك لا يكتب الإسلام على المسلم أو حتى يعلمه أن عليه أن يعتبر نفسه مذنبًا يتحمل الخطيئة الأصلية، وأن عليه التماس الخلاص الذي ينجيه. إن علم النفس الجمعي يَعرِفُ العواقب التي يمكن أن تنشأ عن الأعراض المتزامنة المتلازمة المركّبة "للخلاص".

٥- إن نظرة المسلمين للوضع الاقتصادي وبالتالي للعمل نظرةٌ اجتماعية سليمة، وليست في المقام الأول نظرةً نابعةً من الاقتصادية المستهدفة أعلى منفعية وأعلى ربحًا، بذا يمكن أن تصبح تصويبًا للمسارات الخاطئة أو غير المستقيمة في المجتمعات الصناعية.

٦- أخيرًا، يتعين أو ينبغي على المسلمين أن يكونوا قدوة حسنة في التسامح في علاقاتهم مع غير المسلمين والحكم أو النظام غير الإسلامي، القائم على الفصل بين الدين والدنيا أو العلماني -كما في المجتمع المتعدد الأجناس والثقافات والحضارات والمَنازع الفلسفية التي ترى التعددية الممكنة في رؤية كل منها للحقيقة - حتى ولو اقتصر مفهوم السعادة لدى هذا المجتمع (التعددي) على النعيم والتنعيم في هذه الحياة الدنيا، أي على الأرض فقط على الأقل انطلاقًا من السورة رقم ١٠٩، والتي نرى أن على كل إنسان - مهما كان مذهبه - سواء اليهودي والمسيحي والمسلم والملحد والفيلسوف (اللاأدري) أن يعلقها على الحائط فوق مكتبه ويَعيَها قبل دراسته المقارنة لأي نظام، وهي: (قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد. لكم دينكم، ولي دين) صدق الله العظيم.

* * *



المفكر الانجليزي
توماس كارليل

المفكر الانجليزي
توماس كارليل

ولد توماس كارليل في العام١٧٩٥م، من أب فقير، ولكن فقر هذا الأب لم يمنعه من إرسال ابنه إلى إحدى المدارس الانجليزية للتعليم، وقد ظهر تفوق هذا التلميذ النجيب منذ البداية، حتى إذا أكمل الخامسة عشرة، دخل الطالب الفقير جامعة إدنبرة وتخرج منها ليعمل مدرسا للرياضيات، وفي هذه الفترة تعرف على " ادوارد ارفنج "، الذي أصبح صديقه الحميم لسنوات طويلة فيما بعد.

وفي عام ١٨١٩ م، عاد كارليل إلى جامعة ادنبرة لدراسة القانون، ثم شرع بدراسة الفكر الألماني، ليكون ذلك بداية لحياته الأدبية الحافلة، التي استهلها بكتابة سلسلة من المقالات عن الشاعر الألماني " شلر " في " مجلة لندن " عام ١٨٢٣ م، وفي السنة التالية انصرف كارليل إلى كتابة سيرة نيلسون، ومونتين، ومونتسكيو، كما ترجم كتاب " فليهلم ما يستر"، لصديقه ومعاصره المفكر الالماني الكبير " غوته "، كما تعرف في هذه الفترة على الناقد الكبير " وليم هازلت " والشاعر " كوليرج "، وفي عام ١٨٢٦ تزوج من " جين ويلش "، وخلال السنوات الست التالية تعمق كارليل في الفلسفة الأخلاقية، وعرض أفكاره في كتاب " سارتر ريسارتس "، الذي يعتبر قريبا إلى أن يكون سيرة ذاتية له، ثم عاد إلى كتابة السير الذاتية لعدد من كبار الأدباء، ابتداء بسيرة الشاعر " برنز "، ومرورا بسيرة " جونسون " وانتهاء بسير "فولتير" و" ديدرو" و" نوفاليس ".

وفي سنة ١٨٣٤ انتقل مع زوجته ليسكن في حي تشيلسي - حي الفنانين في لندن - حيث أمضى هناك كل سنوات عمره المديد الذي جاوز الثمانين بستة أعوام، وفي هذا

المسكن، ألّف كارليل أكثر أعماله شهرة وانتشارا: (الأبطال وعبادة البطولة) ـ الذي مجّد فيه الرسول محمد ﷺ "نبيا وبطلا".

و نشر الكتاب في العام ١٨٤١ ـ وبعدها كتب المجموعة التي أطلق عليها اسم (الأدب الألماني)، وفي عام ١٨٤٣ ظهر كتابه (الماضي والحاضر)، والذي عالج فيه مشكلات ومواضيع سياسية ـ إضافة إلى كتاباته السابقة حول موضوع الحقوق العامة وكيفية حصول الشعب على هذه الحقوق، وفي هذه الكتابات دعا كارليل إلى ضرورة إيجاد طبقة حاكمة قوية وحكيمة، وبعد سبع سنوات عاد كارليل إلى هذه المواضيع السياسية في كتابه (الكراريس العصرية).

كما كتب كارليل كتبا أخرى مثل: (رسائل أوليفر كرومويل وخطبه)، العام ١٨٤٥،

و(حياة جون ستيرلنج) العام ١٨٥١، لينصرف بعدها إلى تأليف كتابه الضخم (فردريك العظيم)، والذي استغرق في تأليفه اثني عشر عاما، وطبعت مجلداته بين عامي ١٨٥٨ ـ ١٨٦٥، وفي هذه السنة منح لقب (رئيس جامعة ادنبرة).

وفي بداية حياته كان كارليل يريد الانخراط في سلك الرهبنة، ورغم عدوله عن ذلك فيما بعد، إلا أنه بقي طوال حياته أشبه بواعظ ديني، وقد آمن بأن العمل أعظم علاج للعلل والشقاء الذي يصيب بني الإنسان دوما، كما أنه آمن بتقديس الأبطال وبأن تاريخ العالم ما هو إلا سير عظمائه.

واشتهر كارلايل بحيويته في التأريخ، وأسلوبه الأدبي الجزيل، وكانت تعابيره تصويرية نابضة بالحياة، ويعتبر كتابه (الأبطال وعبادة البطولة) من أكثر كتبه إثارة للإعجاب وأشهرها، وقد تأثر في هذا الكتاب بالفكر الألماني وبصفة خاصة بآراء الفيلسوف الألماني "نيتشة " في (عبادة القوة).

وكتاب (الأبطال) دراسة أدبية وتاريخية رائعة للبطولة، اختار كارليل لعرضها وتحليلها أرقى النماذج الإنسانية الرائعة.. البطل معبودا في شخص (أودين) المعبود

الإسكندينافي الأسطوري ـ الذي خلد اسمه على رأي كارلايل في يوم من أيام الأسبوع بالانكليزية وهو يوم الأربعاء.. والبطل نبيا في شخص نبينا الكريم محمد ﷺ .. والبطل شاعرا في شخص دانتي وشكسبير.. والبطل راهبا في شخص مارتن لوثر ـ زعيم الإصلاح الديني ـ ونوكس ـ زعيم المطهرين ... والبطل كاتبا وأديبا في شخص جونسون وروسو وبرنز.. والبطل ملكا وحاكما في شخص كرومويل ونابليون ـ الذي كان معاصرا لكارليل.

والشخص الوحيد الذي انفرد بالبطولة في مجال واحد، هو رسولنا العظيم محمد – ﷺ ، وحتى في بقية فصول الكتاب التي يتحدث فيها عن أبطال آخرين.. تراه لا يذكر خصلة من خصال العظمة لدى هذا البطل أو ذاك، إلا وتراه يذكر نبينا العظيم ﷺ.. وفي هذا ما يدل أن النبي محمد ﷺ كان "بطل أبطال" كارليل، وهو محق في هذا كل الحق، ومنصف كل الإنصاف.

وكتاب (الأبطال) لتوماس كارليل عربه الكاتب الكبير "محمد السباعي" والد الأديب الكبير الراحل يوسف السباعي، ويقول عنه:

(وكتاب الأبطال هذا يمتاز بشرحه عبادة البطولة وتقديس عظماء الرجال شرحًا وافيًا دقيقًا لم يدع لقائل مجالًا وإن من قرأ هذا الكتاب وكان كافرًا ملحدًا مستهزئًا بعظمة ابن آدم منكرًا عبقرية الإنسان ساخرًا من عظماء الرجال وعشاقهم فلم يشف من داء الكفر والجحود والاستهزاء والسخر فليس في طاقة القلم ولا سلطان البلاغة ولا في قوى الإنس والجن ما يشفي علته أو يغير ما به.. وأحسن ما جاء في ذلك الكتاب فصل عن المصطفى ﷺ وكان الرسول قبل ذلك هدفا لأقلام الكثيرين من الغربيين – ولا سيما أهل القرن الثامن عشر – قرن فولتير أعني قرن الإلحاد والكفر، يرمونه جهلا وكنودًا بقواذع الهجاء وقواذف الذم قال "ريتشارد جازبيت" فلما كتب كارليل مقالته عن الإسلام ينافح فيها عن محمد ويناضل دونه لم يبق هجاء أطلق يده في عرض محمد –عليه السلام– إلا ردت سهام مطلقها في نحره. حتى راح شرف النبي في تلك الديار "ديار الغرب" بفضل

الفيلسوف الأكبر صحيح الأديم موفور الجانب، فحق على عصبة الإسلام جميعًا أن تشكر لذاك الرجل الجليل هذه اليد البيضاء، ولعمري لو أنهم نصبوا له على كل مأذنة تمثالًا وزينوا باسم - توماس كارليل - جدران المساجد وخطب المنابر لما كانوا في أداء واجبه إلا مقصرين، وعن القيام ببعض حقه عاجزين..

وقال المعرب أيضًا: (وكتاب الأبطال وهو بين يدي كاملًا أعتقد أنه (درة ثمينة) لمن أراد العلم والتزود بالمعرفة. ولقد هممت أن أنقل إليكم الفصل الخاص برسول الله محمد "ﷺ" في كتاب الأبطال للفيلسوف الاسكتلندي الكبير توماس كارليل فهو أجلى لصدأ الصدور وعمى القلوب وأهدى سبيلًا لضلال العقول وهو برد وسلام على صدور وقلوب المسلمين الذين آلمهم وآذاهم هذا الهراء وذاك الغثاء وذلك الرغاء الذي أزبد به فم ذلك البعير الدانماركي وممن على شاكلته ومن شايعه ومن أيده ومن شجعه من المقززين والضالين في حق نبي الإسلام ورسول المسلمين محمد ﷺ.. ولكني وجدت أن الفصل الخاص بالنبي محمد يربو على الستين صفحة. وهي مساحة كبيرة بحسابات المدونات وطبيعة القراء التي تجنح إلى الفقرات المختصرة والفكرة المقتصرة لذلك اهتديت إلى من سبقني إلى اختصار الفقرات وسلسلها لأنقلها هنا مع النية الخالصة في أن أعرض لكامل هذا الفصل عن الرسول محمد -ﷺ...).

ويقول كارليل عن النبي محمد في صورة البطل:

(لقد أصبح من أكبر العار، على أي فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى ما يظن من أن محمدًا خداع مزور وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنًا لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا، خلقهم الله الذي خلقنا، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها، ومات عليها هذه الملايين الفائتة الحصر. أكذوبة وخدعة؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبدًا ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان

منهم مثل ذلك التصديق والقبول، فما الناس إلا بلّه ومجانين، وما الحياة إلا سخف وعبث وأضلولة، كان الأولى بها أن لا تخلق.

فوا أسفاه ما أسوأ هذا الزعم وما أضعف أهله وأحقهم بالرثاء والرحمة..

وبعد، فعلى مَن أراد أن يبلغ منزلة ما في علوم الكائنات أن لا يصدق شيئًا البتة من أقوال أولئك، فإنها نتائج جيل كفر، وعصر جحود والحاد، وهي دليل على موت الأرواح في حياة الأبدان، ولعل العالم لم ير قط رأيًا أكفر من هذا والأم.

وهل رأيتم قط معشر الإخوان أن رجلًا كاذبًا يستطيع أن يوجد دينًا، أن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبني بيتًا من الطوب! فهو إذا لم يكن عليمًا بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك فما ذلك الذي يبنيه ببيت، وإنما هو تل من الأنقاض، وكثيب من أخلاط المواد، نعم وليس جديرًا أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرنًا، يسكنه مائتا مليون من الأنفس، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم فكأنه لم يكن.

ثم إذا نظرت إلى كلمات العظيم. شاعرًا كان أو فيلسوفًا أو نبيًا أو فارسًا أو ملكًا، ألا تراها ضربًا من الوحي! والرجل العظيم في نظري مخلوق من فؤاد الدنيا وأحشاء الكون، فهو جزء من الحقائق الجوهرية للأشياء، وقد دلّ الله على وجوده بعدة آيات، أرى أن أحدثها وأجدها هو الرجل العظيم الذي علّمه الله العلم والحكمة، فوجب علينا أن نصغي إليه قبل كل شيء.

وعلى ذلك فلسنا نعد محمدًا هذا قط رجلًا كاذبًا متصنعًا يتذرع بالحيل والوسائل إلى بغيه، أو يطمح إلى درجة ملك أو سلطان، أو غير ذلك من الحقائر والصغائر، وما الرسالة التي أداها إلا حق صراح، وما كلمته إلا صوت صادق صادر من العالم المجهول، كلا، ما محمد بالكاذب ولا الملفق وإنما هو قطعة من الحياة قد تفطر عنها قلب الطبيعة فإذا هي شهاب قد أضاء العالم أجمع، ذلك أمر الله، وذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء، والله ذو الفضل العظيم، وهذه حقيقة تدمغ كل باطل وتدحض حجة القوم الكافرين.

ـ ويبدأ كارليل حديثه عن العرب، ووصف الجزيرة العربية فقال:

(كانت عرب الجاهلية أمة كريمة، تسكن بلادًا كريمة، وكأنها خلق الله البلاد وأهلها على تمام وفاق. فكان ثمة شبه قريب بين وعورة جبالها ووعورة أخلاقهم، وبين جفاء منظرها وجفاء طباعهم، وكان يلطف من قسوة قلوبهم مزاج من اللين والدماثة، كما كان يبسط من عبوس وجود البلاد، رياض خضراء وقيعان ذات أمواه وأكلاء، وكان الأعرابي صامتًا لا يتكلم إلا فيما يعنيه، إذ كان يسكن أرضًا قفرًا يبابا خرساء، تخالها بحرًا من الرمل يصطلي جمرة النهار طوله، ويكافح بحر وجهه نفحات القرّ ليله.

ولا أحسب أناسًا شأنهم الانفراد وسط البيد والقفار، يحادثون ظواهر الطبيعة، ويناجون أسرارها إلا أن يكونون أذكياء القلوب، حداد الخواطر، خفاف الحركة ثاقبي النظر، وإذا صح أن الفرس هم فرنسيو المشرق، فالعرب لا شك طليانه، والحق أقول لقد كان أولئك العرب قومًا أقوياء النفوس، كان أخلاقهم سيول دفاقة، لها من شدة حزمهم وقوة إرادتهم أحصن صور وأمنع حاجز، وهذه وأبيكم أم الفضائل، وذروة الشرف الباذخ وقد كان أحدهم يضيفه ألد أعدائه فيكرم مثواه وينحر له فإذا أزمع الرحيل خلع عليه وحمله وشيّعه، ثم هو بعد كل ذلك لا يحجم عن أن يقاتله متى عادت به إليه الفرص، وكان العربي أغلب وقته صامتًا فإذا قال أفصح.

ويزعمون أن العرب من عنصر اليهود، والحقيقة أنهم شاركوا اليهود في مرارة الجد، وخالفوهم في حلاوة الشمائل، ورقة الظرف، وفي ألمعية القريحة، وأريحية القلب، وكان لهم قبل زمن محمد ﷺ منافسات في الشعر، يجرونها بسوق عكاظ في جنوب البلاد، حيث كانت تقام أسواق التجارة، فإذا انتهت الأسواق تناشد الشعراء القصائد، ابتغاء جائزة تجعل للأجود قريضًا، والأحكم قافية، فكان الأعراب الجفاة ذوو الطباع الوعرة، يرتاحون لنغمات القصيد، ويجدون لرناتها أية لذة فيتهافتون على المنشد كالفراش، ويتهالكون.

ـ وعن مولد النبي ونشأته قال:

(وكان بين هؤلاء العرب التي تلك حالهم، أن ولد محمد ﷺ عام ٥٨٠ ميلادية، وكان من أسرة هاشم من قبيلة قريش، وقد مات أبوه عقب مولده، ولما بلغ عمره ستة أعوام توفيت أمه ـ وكان لها شهرة بالجمال والفضل والعقل، فقام عليه جده وهو شيخ قد ناهز المائة من عمره وكان صالحًا بارًا، وكان ابنه عبد الله أحب أولاده إليه، فأبصرت عينه الهرمة في محمد صورة عبد الله، فأحب اليتيم الصغير بملء قلبه، وكان يقول ينبغي أن يحسن القيام على ذلك الصبي الجميل، الذي قد فاق سائر الأسرة والقبيلة حسنًا وفضلًا، ولما حضرت الشيخ الوفاة والغلام لم يتجاوز العامين، عهد به إلى أبي طالب أكبر أعمامه رأس الأسرة بعده، فرباه عمه ـ وكان رجلًا عاقلًا كما يشهد بذلك كل دليل ـ على أحسن نظام عربي).

– وعن صدق النبي منذ طفولته قال كارليل: (ولوحظ عليه منذ فتائه أنه كان شابًا مفكرًا، وقد سماه رفقاؤه الأمين ـ رجل الصدق والوفاء ـ الصدق في أفعاله وأقواله وأفكاره، وقد لاحظوا أن ما من كلمة تخرج من فيه إلا وفيها حكمة بليغة، وأني لأعرف عنه أنه كان كثير الصمت، يسكت حيث لا موجب للكلام، فإذا نطق، فما شئت من لب وفضل وإخلاص وحكمة، لا يتناول غرضًا فيتركه إلا وقد أنار شبهته، وكشف ظلمته، وأبان حجته، واستثار دفينته، وهكذا يكون الكلام وإلا فلا، وقد رأيناه طول حياته، رجلًا راسخ المبدأ، صارم العزم، بعيد الهمة، كريمًا برًا رءوفًا تقيًا فاضلًا حرًا ـ رجلًا شديد الجد مخلصًا، وهو مع ذلك سهل الجانب، لين العريكة، جم البشر والطلاقة، حميد العشرة، حلو الإيناس، بل ربما مازح وداعب).

ـ ويبرأ كارليل النبي من الطمع الدنيوي فقال:

(ويزعم المتعصبون من النصارى والملحدون أن محمدًا لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية، ومفاخر الجاه والسلطان، كلا وايم الله، لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير ابن القفار والفلوات. المتوقد المقلتين العظيم النفس، المملوء رحمة وخيرًا، وحنانًا وبرًا،

وحكمة وحجى، وأربة ونهى - أفكار غير الطمع الدنيوي، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه...فلما كان في الأربعين من عمره وقد خلا إلى نفسه في غار بجبل (حراء) قرب مكة شهر رمضان، ليفكر في تلك المسائل الكبرى، إذا هو قد خرج إلى خديجة ذات يوم وكان قد استصحبها ذلك العام وأنزلها قريبًا من مكان خلوته، فقال لها انه بفضل الله قد استجلى غامض السر، واستثار كامن الأمر، وانه قد أنارت الشبهة، وانجلى الشك وبرح الخفاء وأن جميع هذه الأصنام محال وليست إلا أخشابًا حقيرة، وان لا إله إلا الله وحده لا شريك له فهو الحق وكل ما خلاه باطل، خلقنا ويرزقنا. وما نحن وسائل الخلق والكائنات إلا ظل له وستار يحجب النور الأبدي والرونق السرمدي، الله أكبر ولله الحمد).

- وعن الوحي وجبريل قال:

(فمن فضائل الإسلام: تضحية النفس في سبيل الله، وهذا أشرف ما نزل من السماء على بني الأرض، نعم هو نور الله قد سطع في روح ذلك الرجل، فأنار ظلماتها، هو ضياء باهر، كشف تلك الظلمات التي كانت تؤذن بالخسران والهلاك، وقد سماه محمد ﷺ وحيًا و(جبريل) عليه السلام، وأينا يستطيع أن يحدث له اسمًا؟ ألم يجيء في الإنجيل أن وحي الله يهبنا الفهم والإدراك؟ ولا شك أن العلم والنفاذ إلى صميم الأمور وجواهر الأشياء، لسر من أغمض الأسرار لا يكاد المنطقيون يلمسون منه إلا قشوره، وقد قال نوفاليس: (أليس الإيمان هو المعجزة الحقة الدالة على الله؟) فشعور محمد إذ اشتعلت روحه بلهيب هذه الحقيقة الساطعة، بأن الحقيقة المذكورة هي أهم ما يجب على الناس علمه لم يك إلا أمرًا بديهيًا).

- وتحدث كارليل عن القرآن وإعجازه فقال:

(أما القرآن فإن فرط إعجاب المسلمين به وقولهم بإعجازه هو أكبر دليل على اختلاف الأذواق في الأمم المختلفة. هذا وان الترجمة تذهب بأكثر جمال الصنعة وحسن الصياغة ولذلك لا عجب إذا قلت ان الأوروبي يجد في قراءة القرآن أكبر عناء، فهو يقرؤه كما يقرأ الجرائد، لا يزال يقطع في صفحاتها قفارًا من القول الممل المتعب، ويحمل على ذهنه هضابًا

وجبالًا من الكم، لكي يعثر في خلال ذلك على كلمة مفيدة، أما العرب فيرونه على عكس ذلك لما بين آياته وبين أذواقهم من الملاءمة، ولأن لا ترجمة ذهبت بحسنه ورونقه، فلذلك رآه العرب من المعجزات وأعطوه من التبجيل ما لم يعطه أتقى النصارى، لإنجيلهم وما برح في كل زمان ومكان قاعدة التشريع والعمل والقانون المتبع في شؤون الحياة ومسائلها والوحي المنزل من السماء هدى للناس وسراجًا منيرًا، يضيء لهم سبل العيش ويهديهم صراطًا مستقيمًا، ومصدر أحكام القضاة، والدرس الواجب على كل مسلم حفظه والاستنارة به في غياهب الحياة، وفي بلاد المسلمين مساجد يتلى فيها القرآن جميعه كل يوم مرة، يتقاسمه ثلاثون قارئًا على التوالي وكذلك ما برح هذا الكتاب يرن صوته في آذان الألوف من خلق الله وفي قلوبهم اثني عشر قرنًا في كل آن ولحظة، ويقال إن من الفقهاء من قرأه سبعين ألف مرة!!

- وعن براءة النبي محمد من الشهوات وتواضعه وتقشفه قال:

(وما كان محمد أخا شهوات، برغم ما اتهم به ظلمًا وعدوانًا، وشد ما نجور ونخطئ إذا حسبناه رجلًا شهويًا، لا همّ له إلا قضاء مآربه من الملاذ، كلا فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أية كانت، لقد كان زاهدًا متقشفًا في مسكنه، ومأكله، ومشربه، وملبسه، وسائر أموره وأحواله وكان طعامه عادة الخبز والماء، وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار وأنهم ليذكرون - ونعم ما يذكرون - أنه كان يصلح ويرفو ثوبه بيده، فهل بعد ذلك مكرمة ومفخرة؟ فحبذا محمد من رجل خشن اللباس، خشن الطعام، مجتهد في الله قائم النهار، ساهر الليل دائبًا في نشر دين الله، غير طامح إلى ما يطمح إليه أصاغر الرجال من رتبة أو دولة أو سلطان. غير متطلع إلى ذكر أو شهرة كيفما كانت، رجل عظيم وربكم وإلا فما كان ملاقيًا من أولئك العرب الغلاظ توقيرًا واحترامًا وإكبارًا وإعظامًا، وما كان يمكنه أن يقودهم ويعاشرهم معظم أوقاته، ثلاثًا وعشرين حجة وهم ملتفون به يقاتلون بين يديه ويجاهدون حوله. لقد كان في هؤلاء العرب جفاء، وغلظة، وبادرة، وعجرفية، وكانوا حماة الأنوف، أباة الضيم، وعر المقادة صعاب الشكيمة، فمن قدر على رياضتهم، وتذليل

جانبهم حتى رضخوا له واستقادوا فذلكم وايم الله بطل كبير، ولولا ما أبصروا فيه من آيات النبل والفضل، لما خضعوا له ولا أذعنوا، وكيف وقد كانوا أطوع له من بنانه.

وظني أنه لو كان أتيح لهم بدل محمد قيصر من القياصرة بتاجه وصولجانه لما كان مصيبًا من طاعتهم مقدار ما ناله محمد، في ثوبه المرقع بيده فكذلك تكون العظمة، وهكذا تكون الأبطال).

- وحول تأثير الإسلام على العرب وفضله عليهم قال:

(ولقد أخرج الله العرب بالإسلام، من الظلمات إلى النور، وأحيى به من العرب أمة هامدة وأرضاها مدة، وهل كانت إلا فئة من جوالة الأعراب، خاملة فقيرة تجوب الفلاة، منذ بدء العالم، لا يسمع لها صوت ولا تحس منها حركة. فأرسل الله لهم نبيًا بكلمة من لدنه ورسالة من قبله فإذا الخمول قد استحال شهرة، والغموض نبهه، والضعة رفعة، والضعف قوة، والشرارة حريقًا، وسع نوره الأنحاء وعمّ ضوء الأرجاء، وعقد شعاعه الشمال بالجنوب، والمشرق بالمغرب وما هو إلا قرن بعد هذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب رجل في الهند ورجل في الأندلس وأشرقت دولة الإسلام حقبًا عديدة، ودهور مديدة بنور الفضل والنبل، والمروءة والبأس، والنجدة. ورونق الحق والهدى على نصف المعمورة، وكذلك الإيمان عظيم وهو مبعث الحياة، ومنبع القوة، وما زال للأمة رقي في درج الفضل، وتعريج إلى ذرى المجد، ما دام مذهبها اليقين ومنهاجها الإيمان، ألستم ترون في حالة أولئك الأعراب ومحمدهم وعصرهم، كأنما قد وقعت من السماء شرارة على تلك الرمال، التي كان لا يبصر بها فضل، ولا يرجى فيها خير. فإذا هي بارود سريع الانفجار وما هي برمل ميت، وإذا هي قد تأججت واشتعلت، واتصلت نيرانها بين غرناطة ودلهي).

* * *



الفيلسوف والمؤرخ

ول. ديورانت

الفيلسوف والمؤرخ
ول. ديورانت

ولد الفيلسوف والمؤرخ" ول. ديورانت" عام١٨٨٥م بولاية ماساتشوستس الأمريكية، وتلقى تعليما كاثوليكيا في طفولته فقد كانت أمه كندية فرنسية، وامرأة متدينة، ولكن مع ذلك سرعان ما تحول إلى التعليم المدني وحصل على البكالوريوس في الآداب عام ١٩٠٧م، ثم الماجستير في السنة التالية. وقرأ ديورانت أثناء دراسته مؤلفات وكتابات هكسلي وداروين وهربرت سبنسر وهيغل واسبينوزا وآخرين غيرهم وانضم إلى الأفكار الاشتراكية في عام ١٩٠٥م ومع ذلك دخل مدرسة إكليريكية في عام ١٩٠٩م ولكنه لم يبق فيها طويلا. مارس مهنة الصحافة ثم ترك مهنة المتاعب ليشتغل بالتدريس في الكلية التي تخرج منها حتى عام١٩١١م ودرس بعد ذلك في المدارس الفرنسية وهناك أحب إحدى تلميذاته وتوثقت علاقته بها وهي أدا كوفمان فتزوجها عام ١٩١٣م. ثم تابع ديورانت دراسته حتى حصل على الدكتوراه في الفلسفة في عام١٩١٧م من جامعة كولومبيا وكانت رسالته بعنوان الفلسفة والمشكلة الاجتماعية. وكتب ديورانت مقالات كثيرة في المجلات وألف عدة كتب منها: قصة الفلسفة، وقصة عقل واحد وحقبة واحدة، وقصور الفلسفة، وقضية الهند، ومباهج الفلسفة، ومغامرات في العبقرية، وبرنامج للأمريكيين، وفي معنى الحياة، ومأساة روسيا، ودروس التاريخ، وتفسيرات الحياة، وسيرة ذاتية ثنائية كتب هذا الكتاب بالاشتراك مع زوجته ثم أصدر آخر كتاب له بعنوان أبطال من التاريخ. لكن هذه الكتب جميعا لم تحقق نجاحا يقاس بما حققه كتاب قصة الفلسفة الذي أصدره في عام ١٩٢٦م فقد لاقى هذا الكتاب نجاحا كبيرا في السوق، وصار من أكثر الكتب رواجا، فقد كان بيضة من ذهب حسب تعبيره، ومن عوائده المالية تحرر ديورانت من رق الوظائف وعناء التدريس، وفي عام١٩٢٧م ترك التدريس وتعليم

الفلسفة وتفرغ للكتابة والتأليف. ودخل في مشروع فريد من نوعه وعظيم وشامخ في مضمونه ومنهجه وأسلوب رفيع يليق بفيلسوف فنان، استغرق خمسين عاما من عمره وهذا المشروع المذهل هو كتاب" قصة الحضارة"

وقد راودته فكرة هذا الكتاب عندما كان شابا يافعا يقوم برحلة إلى الشرق في عام١٩١٢م، زار فيها سوريا ونزل دمشق وفي تلك الزيارة مرض ديورانت ولازم الفراش وتذكر المؤرخ الانكليزي "هنري توماس "الذي زار دمشق منذ نصف قرن ومرض ثم مات دون أن يبدأ في كتابة تاريخ الحضارة وهكذا فكر ديورانت في دمشق ثم قرر أن ينجز ما عجز عنه ذلك المؤرخ الانكليزي المعروف.

وفي عام ١٩٣٥ اصدر الجزء الأول من قصة الحضارة ونجح في تغير نمط حياته واستقر بضواحي مدينة لوس انجلوس في ولاية كاليفورنيا وأعتكف في الريف الأمريكي الهادئ وتفرغ تماما للقراءة والكتابة وكان يعمل كل أيام الأسبوع مع زوجته ويقرأ آلاف الكتب ويتعلم اللغات ويسافر سفرات طويلة من أجل رؤية ومعاينة المنابت الأولى للحضارات. فقد كان يقرأ نحو خمسة آلاف كتاب من أجل أن يكتب جزءا واحدا من قصة الحضارة بمساعدة زوجته وابنته. وكان هدفه من هذا العمل الرائع كما يقول في مقدمته:

«أن أكتب تاريخًا للمدنيّة، أردت فيه أن أروي أكثر ما يمكن من النبأ في أقل ما يمكن من الصفحات، بحيث أقصّ في روايتي ما أدته العبقرية وما أداه دأب العاملين في ازدياد تراث الإنسانية الثقافي- وأن تكون قصتي مصحوبة بتأملاتي في العلل ووصف الخصائص وما ترتب من نتائج لما أصابه الاختراع من خطوات التقدم، ولأنواع النظم الاقتصادية، وللتجارب في ألوان الحكم، وما تعلقت به العقيدة الدينية من آمال، وما اعتور أخلاق الناس ومواضعاتهم من تغيرات، وما في الآداب من روائع، وما أصابه العلم من رُقى، وما أنتجته الفلسفة من حكمة، وما أبدعه الفن من آيات، ولست بحاجة إلى من يذكرني بأن هذا المشروع ضرب من الخبل، ولا إلى من يذكرني بأن مجرد تصور مثل

هذا المشروع إمعان في غرور المرء بنفسه؛ فلقد بينت في جلاء أنه ليس في مستطاع عقل واحد أو حياة واحدة أن تقوم بهذه المهمة على الوجه الأوفى، ورغم ذلك كله، فقد خيلّت لي الأحلام بأنه على الرغم من الأخطاء الكثيرة التي ليس عنها محيص في هذا المشروع، فقد يكون نافعًا بعض النفع لأولئك الذين يرغمهم ميلهم الفلسفي على محاولتهم أن يروا الأشياء في كلُ واحد، وأن يتابعوا التفصيلات في موضعها من صورة مجسدة واحدة، فيروها متحدة ويوقفوا إلى فهمها خلال الزمان في تطورها التاريخي، وأن ينظروا إليها كذلك في المكان عن طريق العلم.»

ثم يشرح طريقته في كتابة التاريخ:

«لقد أحسست منذ زمن طويل بأن طريقتنا المعتادة في كتابة التاريخ مجزءًا أقسامًا منفصلًا بعضها عن بعض، يتناول كل قسم ناحية واحدة من نواحي الحياة فتاريخ اقتصادي، وتاريخ سياسي، وتاريخ ديني، وتاريخ للفلسفة، وتاريخ للأدب، وتاريخ العلوم، وتاريخ الموسيقى، وتاريخ للفن - أحسست أن هذه الطريقة فيها إجحاف بها في الحياة الإنسانية من وحدة، وأن التاريخ يجب أن يكتب عن كل هذه الجوانب مجتمعة، كما يكتب عن كل منها منفردًا، وأن يكتب على نحو تركيبي كما يكتب على نحو تحليلي، وأن علم تدوين التاريخ في صورته المثلى لابد أن يهدف- في كل فترة من فترات الزمن إلى تصوير مجموعة عناصر ثقافة الأمة مشتبكة بما فيها من مؤسسات ومغامرات وأساليب عيش؛ لكن تراكم المعرفة قد شطر التاريخ- كما فعل بالعلم- إلى نواحي اختصاص تعد بالمئات، وجفل العلماء الحكماء من محاولة تصور الكل في صورة واحدة- سواء في ذلك العالم المادي أو ماضي البشرية الحي، ذلك لأن احتمال الخطأ يزيد كلما اتسع نطاق المشروع الذي يأخذه الإنسان على نفسه؛ وإن رجلًا كائنًا من كان يبيع نفسه في سبيل تكوين صورة مركبة تشمل الكلَّ جملة واحدة، لابد أن يكون هدفًا يبعث على الأسى، لما يصيبه من ألوف السهام التي يوجهها نقد الأخصائيين إليه؛ فتصيبه غير عابئة بجهده؛ لقد قال بتاح حوتب منذ خمسة آلاف عام: "انظر كيف يمكن أن تتعرض لمناوأة الخبراء في المجلس؛ إنه

لمن الحمق أن تتحدث في كل ضروب المعرفة"؛ إن تاريخًا يكتب للمدنية لشبيه بجرأته بالمحاولات الفلسفية كلها: وذلك أنه يعرض علينا صورة تبعث على السخرية لجزء يشرح الكل الذي هو جزء منه؛ ومثل هذه المغامرة لا تستند على سند من العقل، كما هي الحال في الفلسفة، وهي مغامرة أحسن ما تكون حالا أن تكون حماقة جريئة؛ لكن ليكن أملنا أن تصيب ما تصيبه الفلسفة من توفيق فتستطيع دائمًا أن تجذب إليها طائفة من النفوس المغامرة فتغوص في أعماقها المميتة.».

وكان ديورانت يتمتع بعقل نقدي وفلسفي، وثقافة واسعة وعميقة، وكان رجلا نزيها وموضوعيا، يتحرى الحقيقة، ويحرص عليها، وكان عالما وأديبا وفيلسوفا وفنانا في آن واحد ولهذا يرى من الواجب في كتابة التاريخ:«الإحاطة بجميع النواحي الاقتصادية والسياسية والقانونية والحربية والأخلاقية والاجتماعية والدينية والتربوية والعلمية والطبية والفلسفية والأدبية والفنية، ولقد بذلنا جهدنا على الدوام في أن نكون بعيدين عن الهوى والتحيز وأن ننظر إلى كل دين وكل ثقافة كما ينظر إليهما أهلهما، ولكنا مع هذا لا ندعي العصمة من الهوى ذلك أن العقل كالجسم سجين في جلده لا يستطيع الفكاك منه».

وتجلى ذلك كله بوضوح في كتاب قصة الحضارة ومن هنا جاءت روعة وعظمة هذا الكتاب.

يحكى أن ديورانت سئل ذات مرة أن يصف نفسه وعمله فقال الرجل لا أعتبر نفسي مفكرا أو فيسوفا وإنما عاشق لعشاق الحكمة. ولما سئل أن يلخص الحضارة قال:«هي نهر ذو ضفتين يمتلئ أحيانا بدماء الناس الذين يقتلون ويسرقون ويصيحون ويفعلون أشياء يسجلها المؤرخون عادة. ولكننا نجد على الضفتين في الوقت ذاته أناسا لا يحس بهم أحد وهم يبنون البيوت، ويمارسون الحب والجنس، ويربون الأطفال، ويتغنون بالأغاني، وينظمون الشعر، بل ينحتون التماثيل. وقصة الحضارة هي قصة ما حدث على الضفتين. ولكن المؤرخين متشائمون، لأنهم يتجاهلون الضفاف ويتعلقون بالنهر».

وكان ديورانت عضوا بالمعهد القومي للفنون والآداب في واشنطن، وفاز بجائزة بوليتزر في عام ١٩٦٨م وهي أكبر جائزة للأدب والصحافة في الولايات المتحدة الأمريكية عن الجزء العاشر من قصة الحضارة.ومنح ميدالية الحرية في عام١٩٧٧م، فقد عاش هذا الفيلسوف والمؤرخ الحجة نحو قرن كامل تقريبا في بيئة تحترم العلماء والمفكرين والمبدعين والفنانين وبهذا اجتمعت المواهب الفردية مع الوسط الاجتماعي المناسب، فأسفرت عن هذا المشروع الرائع.

ومات ديورانت عام ١٩٨١م فشعرت زوجته وشريكة عمره بفراغ كبير وماتت بعده بخمسة شهور!

وكتاب قصة الحضارة نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن سلسلة مكتبة الأسرة ٢٠٠١ "مهرجان القراءة للجميع" بترجمة للكتور زكي نجيب محمود ومحمد بدران.

وكتب عنه الدكتور زكي نجيب محمود معرب الكتاب يصفه بقوله:

(هذا الكتاب بمثابة المقدمة لمجلد ضخم وضعه "ول ديورانت"في "التراث الشرقي..ونطالع من "مقدمة المؤلف":

(حاولت في هذا الكتاب أن أنجز... مهمة تبعث السرور في نفسي... منذ عشرين عامًا تقريبًا دفعني إليه التهور، وهي أن أكتب تاريخًا للمدنية، أردت أن أروي... أقل ما يمكن من الصفحات، بحيث أقص في روايتي ما أدته العبقرية وما أداه دأب العاملين في ازدياد تراث الإنسانية الثقافي – وأن تكون قصتي مصحوبة بتأملاتي في العلل ووصف الخصائص وما ترتب من نتائج... خطوات التقدم، ولأنواع النظم الاقتصادية، والتجارب في ألوان الحكم، وما تعلقت به العقيدة الدينية من آمال، وما اعتور أخلاق الناس ومواضعاتهم من تغيرات...

إن قصتنا تبدأ بالشرق، لا لأن آسيا كانت مسرحًا لأقدم مدنية معروفة لنا فحسب، بل كذلك لأن المدنيات كونت البطانة والأساس للثقافة اليونانية والرومانية التي ظن

(سير هنري مين) خطأ أنها المصدر الوحيد الذي استقى منه العقل الحديث، فسيدهشنا أن نعلم كم... وكم من نظامنا الاقتصادي والسياسي ومما لدينا من علوم وآداب، وما لنا من فلسفة ودين، يرتد إلى مصر والشرق، وفي هذه اللحظة التاريخية – حيث تسرع السيادة الأوروبية نحو الانهيار، وحيث تنتعش آسيا بما يبعث فيها الحياة، وحيث الاتجاه كله في القرن العشرين يبدو كأنما هو صراع شامل بين الشرق والغرب – نرى أن التعصب الإقليمي الذي ساد كتاباتنا التقليدية للتاريخ التي تبدأ رواية التاريخ من اليونان، وتلخص آسيا كلها في سطر واحد، لم يعد مجرد غلطة علمية بل ربما كان إخفاقًا ذريعًا في تصوير الواقع ونقصًا واضحًا في ذكائنا، ... فلا بد للعقل أن يتابع خطأه.

لكن كيف يتاح لعقل غربي أن يفهم الشرق؟

ونطالع من عنوان (نشأة الحضارة) هذا التقديم لـ(فولتير):

(أحب أن أعلم الخطوات التي سارها الإنسان في طريقه من الهمجية إلى المدنية)

ونطالع ما يلي عنوان الباب الأول: (عوامل الحضارة) تعريف: العوامل الجيولوجية – والجغرافية – والاقتصادية – والجنسية – والنفسية – أسباب انحلال الحضارات:

الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها.

ونطالع في الفصل الأول (من الصيد إلى الحرث)..

(إن نظام الوجبات الثلاث في كل يوم نظام اجتماعي غاية في الرقي)

ونطالع في الفصل الثاني (أسس الصناعة):

لئن بدأت إنسانية الإنسان بالكلام، وبدأت المدنية بالزراعة، فلقد بدأت الصناعة بالنار التي لم يخترعها الإنسان اختراعًا، بل الأرجح أن شاءته المصادفة ولما أدرك الإنسان أعجوبة النار استخدامها على ألف صورة، أولها:... شعلة يقهر بها عدوه المخيف، إلا وهو الظلام، ثم... للتدفئة..

ونطالع من العنوان الفرعي (٤ – مهود المدنية آسيا الوسطى..).:

(أين بدأت المدنية؟)... سؤال يعز على الجواب، فلم أخذنا ما يقوله الجيولوجيون الذين يعنون في أبحاثهم عما قبل التاريخ... لكانت المناطق القاحلة في آسيا الوسطى ذات ماضي فيه ماء وفيه أعتدال في حرارة الجو، وفيه ما يُزهره من بحيرات عظيمة وأنهار كثيرة.

ومما نطالع في الجزء (٢)... (الشرق الأدنى) الكتاب الأول:

وفي ذلك الوقت نادتني الآلهة: أنا حمورابي، الخادم الذي سرت من أعماله، والذي كان عونًا لشعبه في الشدائد.. والذي أفاد عليه الثروة والوفرة.. لأضع الأقوياء أن يظلموا الضعفاء وأنشر النور في الأرض، وأرعى مصالح الخلق..

قانون حمورابي- المقدمة:

ونطالع في الفصل الثاني (السومريون.. تاريخهم) الكشف عن أرض سومر – جغرافيتها – أهلها وجنسيتهم – مظهرهم – الطوفان السومري – الملوك... – سرجون ملك أكاد – عصر أور الذهبي:

إذا عدنا إلى خريطة الشرق الأدنى وتتبعنا المجرى المشترك المكوّن من نهري دجلة والفرات من مصبه في الخليج... إلى أن ينفصل المجريات (عند بلدة القرنة الحديثة) ثم تتبعنا نهر الفرات متجهين إلى الغرب، وجدنا في شماله وجنوبه المدن السومرية القديمة المطمورة وهي: إريدو (أبو شهرين الحديثة) وأور (المقير الحديثة) وأروك (وهي المسماة إرك في التوراة والمعروفة الآن باسم الوركاء)... تتبع بعدئذ نهر الفرات في سيره... إلى

بابل التي كانت في يوم من الأيام أشهر بلاد الجزيرة (ارض ما بين النهرين)... حتى مقر... مملكة أكد في الأيام الخالية، ولم يكن تاريخ أرض الجزيرة القديم من إحدى نواحيه إلا صراعًا قامت به الشعوب غير السامية التي تسكن بلاد سومر لتحتفظ باستقلالها أمام الهجرات السامية والزحف السامي من كش وأجاد وغيرها من مراكز العمران الشمالية، وكانت هذه الأجناس المختلفة الأصول في خلال هذا الصراع تتعاون دون أن تشعر بتعاونها – ولعلها كانت تتعاون على الرغم منها – لتقييم صرح السومريون أن يستعيدوا تاريخ بلادهم القديم، فكتب الشعراء قصصًا عن بداية الخلق، وعن جنة بدائية، وعن طوفان مروّع غمر هذه الجنة وخربها عقابًا لأهلها على ذنب ارتكبه أحد ملوكهم الأقدمين... وتناقل البابليون والعبرانيون قصة هذا الطوفان وأصبحت بعدئذ جزءًا من العقيدة المسيحية.

ونطالع من متن العنوان الفرعي (الدين والأخلاق):

وقد عثر في الخرائب السومرية على لوحة نقشت عليها بعض الصلوات وجاءت فيها... النذر الدينية الغريبة.

ونطالع في الباب التاسع (بابل) الفصل الأول (من حمورابي إلى نبوخذ نصر):

الحضارة كالحياة صراع دائم مع الموت... ولقد انتقلت الحضارة من أورلى بابل... ومن بابل إلى نينوى ومن هذه كلها... ومصر وكريت، إلى بلاد اليونان وروما.

وأما في الباب التاسع من كتابه قصة الحضارة كتب" ديورانت "عن القرآن الكريم:

يقول في الفصل الأول من هذا الباب:

"لفظ القرآن مشتق من القراءة، ويطلق على كتاب المسلمين كله أو على كتاب المسلمين كله أو على أي جزء منه، وهو يتألف كما يتألف الكتاب المقدس، كتاب اليهود والمسيحيين، من أجزاء جمع بعضها إلى بعض. ويعتقد المسلمون أن كل حرف منه موحى به من عند الله، ويختلف عن التوراة في أنه كله نطق به رجل واحد، ومن اجل هذا بلا

ريب لا يعادله في آثاره أي كتاب آخر جاء به رجل واحد. وقد أملى النبي في أوقات مختلفة من الثلاث والعشرين السنة الخيرة من حياته ما كان يوحى إليه من آياته، وكان كل ما يُوحى به إليه يُكتب على الرق، أو الجلود، أو سعف النخيل، أو العظام ثم يحفظ مع الآيات السابقة دون أن يراعى في ذلك ترتيب زمني أو منطقي، ولم تجمع هذه الآيات كلها في كتاب واحد في حياة النبي، ولكن بعض المسلمين كانوا يحفظونها عن ظهر قلب، ولما مات عدد من هؤلاء القراء ولم يكن هناك من يخلفهم أمر الخليفة أبو بكر زيد بن ثابت كبير كتاب الوحي أن يبحث عن آيات القرآن ويجمعها، فجمع زيد أجزاءه من سعف النخيل، وألواح الحجارة البيضاء، وصدور الناس كما تقول الرواية المأثورة، فلما تم له ذلك نسخت منه عدة صور. ولما كانت ألفاظه خالية من الحركات فقد اختلف بعض القراء في تفسير بعضها واختلفت نصوصها في مدن العالم الإسلامي الآخذ في الاتساع، فرأى الخليفة عثمان أن يقضي على هذا الاختلاف، وأمر زيدًا وثلاثة من علماء قريش أن يراجعوا مخطوط زيد (٦٥١) ثم كتبت نسخ منه وأرسلت إلى دمشق والكوفة والبصرة، وظل القرآن من هذا الوقت محفوظًا نقيًا محوطًا بأعظم العناية والتبجيل.

ومن شأن الظروف التي أحاطت بالقرآن أن تعرضه للتكرار وعدم الانسجام، فكل فقرة بمفردها تؤدي إلى غرض واضح. فهي إما أن تقرر عقيدة، أو تأمر بصلاة أو دعاء، أو تسن قانونًا، أو تشهر بعدو، أو توجه إلى عمل، أو تروي قصة، أو تدعو إلى قتال، أو تعلن نصرًا، أو تصوغ عهدًا، أو تطلب مالًا، أو تنظم شعيرة دينية، أو تنص على مبدأ أخلاقي، أو تضع نظامًا للتجارة، أو الصناعة، أو عمل من الأعمال المالية.

ولكننا لسنا واثقين من أن محمدًا كان يريد جمع هذه الأجزاء المتفرقة كلها في كتاب واحد، فقد كان كثير منها حديثًا لرجل بعيه في وقت بعينه، ويصعب فهمه دون معرفة واسعة بتاريخ ذلك الوقت وتقاليد أهله. وعدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة، وهي مرتبة حسب طولها، لا بحسب نزولها فإن لك غير معروف، فهو يبدأ بالسور الطوال وينتهي بالقصار، وإذا كانت قصار السور بوجه عام أقدم عهدًا من طوالها، فإن

القرآن تاريخ مقلوب. فالسور المدنية وهي التي يبدأ بها الكتاب عملية في أغراضها عادية في أسلوبها، أما السور المكية فهي شعرية روحية وبها ينتهي الكتاب. وخليق بنا أن نبدأ بقراءته من نهايته.

وجميع السور ما عدا فاتحة الكتاب حديث من الله أو جبريل إلى النبي أو أتباعه أو أعدائه؛ وتلك هي الطريقة التي سار عليها أنبياء بني إسرائيل؛ وهي التي نراها في كثير من فقرات أسفار موسى الخمسة. وكان محمد يعتقد أنه ما من قانون أخلاقي يمكن أن يقع في النفوس وأن يُطاع طاعة تكفل للمجتمع النظام والقوة إلا إذا آمن الناس أنه منزل من عند الله. وهذه الطريقة تتفق مع الأسلوب الحماسي الفخم ومع البلاغة اللذين يسموان في بعض الأحيان، عن أقوال للنبي أشعيا. وأسلوب القرآن وسط بين الشعر والنثر تتخلله كثير من الفقرات الموزونة المقفاة، ولكنها لا تتبع أوزانًا ولا قوافي خاصة منتظمة؛ وفي السور المكية الأولى نغمات موسيقية رنانة، وأسلوب جزل قوي لا يدركه كل الإدراك إلا الملمون باللغة العربية الذين يعطفون على الدين الإسلامي. ولغة القرآن هي اللغة العربية الفصحى الخالصة، وهو غني بالتشبيهات والاستعارات القوية الواضحة والعبارات الخلابة التي لا توائم ذوق الغربيين. وهو بإجماع الآراء خير كتاب وأول كتاب، في الأدب النثري العربي. "

وفي الفصل الثاني يقول عن العقائد:

"من بين الأغراض التي يهدف لها الدين أن يكون سبيلًا إلى الحكم الأخلاقي، وليس من شأن المؤرخ أن يسأل هل هذا الدين أو ذاك حق أو باطل، وأنى له العلم المحيط بكل شيء والذي يوصله إلى هذه المعرفة؟ وإنما الذي يسأل عنه هو العوامل الاجتماعية والنفسانية التي أدت إلى قيام هذا الدين، وإلى أي حد أفلح في تحويل الوحوش إلى آدميين، والهمج إلى مواطنين صالحين، والصدور الفارغة إلى قلوب عامرة بالأمل والشجاعة، وعقول مطمئنة هادئة، وما مقدار ما تركه بعد ذلك من الحرية لتطور العقول البشرية، وما هو أثره في التاريخ؟ وترى اليهودية، والمسيحية، والإسلام أن أهم ما يحتاج إليه المجتمع

السليم هو الإيمان بأن هذا الكون خاضع لحكم أخلاقي مسيطر على شؤونه-أي الإيمان بأنه مهما يكن في هذا الكون من شر، فإن عقلًا خيرًا، يعجز الناس عن إدراك كنهه، يسيّر المسرحية الكونية إلى غاية عادلة نبيلة. والأديان الثلاثة التي أعانت على تكوين عقلية الناس في العصور الوسطى مجمعة كلها على أن هذه العقلية الكونية هي الله الواحد ذو الجلال. غير أن المسيحية قد أضافت إلى هذه العقيدة أن الله الواحد يظهر في ثلاثة أقانيم مختلفة، أما اليهودية والإسلام فتريان أن هذا الاعتقاد ليس إلا شركًا مقنعًا، وتعلنان وحدانية الله بأقوى الألفاظ وأشدها حماسًا.وفي القرآن سورة خصصت كلها لهذا الغرض وهي السورة الثانية عشرة بعد المائة.

ويردده المؤذن من فوق مائة ألف مئذنة كل يوم، فالله هو أصل الحياة ومنشؤها، ومصدر كل خير على ظهر الأرض. "وترى الأرض هامدة، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج" (سورة الحج الآية ٥) "فلينظر الإنسان إلى طعامه، أنا صببنا الماء صبًا، ثم شققنا الأرض شقًا، فأنبتنا فيها حبًا، وعنبًا وقضبًا، وزيتونًا ونخلًا، وحدائق غلبًا، وفاكهة وأبًا" (سورة عبس الآيات ٢٤-٣٠)..."انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إنَّ في ذلكم لآياتٍ لقوم يؤمنون" (سورة الأنعام الآية ٩٩). والله أيضًا إله القوة "الله الذي رفع السمواتِ بغير عمدٍ ترونها... وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى... وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارًا ومن كل الثمرات" (سورة الرعد الآيتان الثانية والثالثة). ويقول في آية الكرسي الشهيرة "الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم" (سورة البقرة الآية ٢٥٥). والله مع سلطانه وعدله رحيم أبدًا، فكل سورة من سور القرآن، ما عدا سورة التوبة، وكل رسالة يكتبها مسلم متمسك بدينه تبدأ بتلك العبارة الفخمة "بسم الله الرحمن الرحيم". ومع أن النبي لا يفتأ يُذكّر الناس بأهوال النار، فإنه لا يمل من الثناء على رحمة الله الأبدية.

والله كما يصفه القرآن يحيط علمًا بكل شيء، ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق]. والله يعلم المستقبل كما يعلم الحاضر والماضي، وإذن فكل الأشياء سابقة في علمهِ، وكل شيء قد تقرر وتحدد منذ الأزل بإرادة الله، ومن ذلك مصير كل نفس وما سيصيبها من خير وشر. فالله يعلم منذ الأزل من ذا الذي ينجو من العذاب وهو الذي ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر:٨] ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان] وكما أن يهوه قد طمس على قلب فرعون فجعله قاسيًا، كذلك يقول الله عن الكافرين ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ [الكهف]، وما من شك في أن المقصود من هذه الآية وأمثالها حث الناس على الإيمان.... غير أنه مع ذلك قول عنيف في أي دين، ولكن محمدًا يؤكده بنفس القوة التي يؤكد بها القديس أوغسطين أمثاله. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة]. وهذا الإيمان بالقضاء والقدر جعل الجبرية من المظاهر الواضحة في التفكير الإسلامي، وقد استعان بها النبي وغيره من الزعماء لبث الشجاعة في قلوب المؤمنين عند القتال لأن ساعة الموت لا يقدمها خطر ولا يؤخرها حذر. وبفضل هذه العقيدة لاقى المؤمنون أشد صعاب الحياة بجنان ثابت، ولكنها أيضًا كانت من الأسباب التي عاقت تقدم العرب وعطلت تفكيرهم في القرون المتأخرة.

ويتحدث القرآن كثيرًا عن الملائكة والجن والشيطان. فأما الملائكة فهم رسل الله وهم الذين يحصون أعمال البشر الطيب منها والخبيث. والجان مخلوقون من النار، ويختلفون عن الملائكة في أنهم يأكلون ويشربون، ويتناكحون ويموتون، ومنهم الصالحون الذين يستمعون إلى القرآن (سورة الجن) ولكن معظمهم دون ذلك يقضون وقتهم في تضليل

الناس وغوايتهم. وزعيم الجن الأشرار إبليس، وكان من قبل من الملائكة الأخيار ولكنه أبى أن يسجد لآدم فطرده الله من رحمته.

والمحور الذي تدور عليه المبادئ الأخلاقية في القرآن، كما هي الحال في كتاب العهد القديم، هو خوف العقاب ورجاء الثواب في الحياة الآخرة، ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ [الحديد: ٢٠] وليس فيها محقق إلا شيء واحد هو الموت. وكان بعض العرب يعتقدون أن كل شيء ينتهي عند الموت، ويسخرون من عقيدة الدار الآخرة، ويقولون ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المؤمنون]، ولكن القرآن يؤكد بعث الجسم والروح ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾ [القيامة] ولن يكون هذا البعث بعد الموت مباشرة، بل إن الموتى سينامون إلى يوم القيامة، ولكن نومهم هذا سيحملهم على الظن بأن استيقاظهم سيكون بعد موتهم على الفور. وعلم يوم القيامة عند الله وحده، ولكنه تسبقه علامات تنبئ بهِ، فإذا قرب ذلك اليوم ضعف إيمان الناس، وفسدت أخلاقهم، وكثر التشاحن والشقاق والحروب العوان، وتمنى العقلاء الموت. وستكون آخر النذر ثلاث نفخات في الصور، ففي النفخة الأولى تكسف الشمس، وتهوي النجوم، وتزول السموات، وتدك الجبال والمباني فلا تُرى فيها عوجًا ولا أمتًا، وتجف مياه البحر أو تتطاير لهبًا (سورة طه ١٠٢ وما بعدها). وفي النفخة الثانية تهلك الخلائق جميعها -الملائكة والجن والبشر- إلا من رحم الله، وبعد أربعين عامًا ينفخ إسرافيل النفخة الثالثة فتقوم الجسام من القبور وتتصل بالأرواح، ويتجلى الله لعباده تحف بهِ الملائكة يحملون الكتب التي دونت فيها أعمال الناس جميعها وأقوالهم وأفكارهم.

وتوزن الحسنات أمام السيئات ويحاسب الإنسان على ما قدمت يداه. ويتقدم الأنبياء فيشهدون على من رفضوا رسالتهم، ويشفعون لمن آمنوا بهم. ويسير الأخيار والأشرار جميعًا على الصراط -وهو أدق من الشعرة وأحد من السيف- المعلق فوق الجحيم. فيسقط

منه الأشرار والكفرة، ويجتازه المصلحون آمنين إلى الجنة، ولن يكون ذلك لما يستحقونه من عقاب أو ثواب بل لما ينالهم من رحمة الله. ذلك أن القرآن كبعض العقائد المسيحية يُعنى على ما يظهر بصحة الإيمان أكثر مما يعنى بالسلوك الطيب، فهو كثيرًا ما ينذر من لا يقبلون دعوة النبي بعذاب النار في الآخرة (آل عمران الآيات ١ و٦٣ و١٣١ وسورة النساء ٥٦ و١١٥ والأعراف والأنفال ٥٠ والتوبة ٦٣ الخ). وإذا لم تكن الذنوب كلها بدرجة واحدة ولا من نوع واحد فقد جعلت النار سبع طبقات في كل طبقة من العقاب ما يتناسب مع الذنب الذي ارتكبه المذنب، ففيها الحرارة التي تشوي الوجوه، وفيها الزمهرير، وحتى من يستحقون أخف العقاب يلبسون أحذية من نار، ويشرب الضالون المكذبون من الحميم وشرب الهيم (سورة الواقعة ٤٠ وما بعدها)، وربما كان دانتي قد أبصر بعض الرؤى التي وصفها في ملهاته في القرآن.

وتختلف صورة الجنة في القرآن عن صورتها في ملهاة دانتي فهي في القرآن واضحة وضوح صورة النار والجنة هي مقر المؤمنين الصالحين والذين يموتون في سبيل الله، والفقراء يدخلونها قبل الأغنياء. ومقر الجنة في السماء السابعة الفلكية أو ما بعدها، وهي حديقة واسعة الأكناف تجري من تحتها الأنهار وتظللها الأشجار الظليلة، ويلبس فيها الصالحون ثيابًا من سندس وإستبرق، ويحلون بالجواهر، ويتكئون على الأرائك، ويطوف عليهم ولدان مخلدون، ويأكلون فاكهة من أشجار تطأطئ أغصانها لهم ليملئوا من ثمارها أيديهم، فيها أنهار من لبن، وعسل، وخمر يشرب منها الصالحون (وإن كانت الخمر محرمة في الدنيا) في أكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾﴾ [النبأ]، "فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنسٌ قبلهم ولا جان...كأنهن الياقوت والمرجان" "وكواعب أترابا". "وعندهم قاصرات الطرف عين، كأنهن بيضٌ مكنون"، أجسامهن من المسك مبرأة من نقائص الأجسام البشرية وآثامها. وسيكون لكل رجل من الصالحين اثنتان وسبعون من أولئك الحور جزاء له على ما عمل من الطيبات، ولم تنقص الأيام ولا الأعمال ولا الموت من جمال أجسامهن، ولا من نعيم

رفاقهن (سورة الدخان) وفي الجنة غير هذه المتعة الجسمية متع أخرى روحية فمن المؤمنين من يتلون القرآن، وسيتجلى لهم الله جميعًا بوجهه "ويطوف عليهم ولدان مخلدون". ترى منذا الذي يستطيع أن يرفض مثل هذا النعيم.

وفي الفصل الثالث تناول القرآن والأخلاق يقول:

القانون والأخلاق في القرآن، كما هما في التلمود، شيء واحد، فالسلوك الديني في كليهما يشمل أيضًا السلوك الدنيوي، وكل أمر فيهما موحى به من عند الله. والقرآن يشمل قواعد للآداب، وصحة الجسم، والزواج والطلاق، ومعاملة الأبناء والعبيد والحيوان، والتجارة، والسياسة، والربا، والدَّين، والعقود، والوصايا، وشؤون الصناعة والمال، والجريمة، والعقاب، والحرب والسلم.

ولم يكن محمد يحتقر التجارة، فقد كان هو نفسه في صباه تاجرًا، وحين كان سيد المدينة كان يبتاع بعض السلع جملة ويبيعها أشتاتًا، ويربح من هذا البيع دون أن يرى فيهِ عيبًا أو منقصة، وكان في بعض الأحيان يدلل على السلع بنفسه، ولغة القرآن غنية بالتشبيهات التجارية، ففيه وعد بالثراء في الدنيا للمسلمين الصالحين، وإنذار بعذاب أليم للمخادعين والكاذبين من التجار. وفي الأحاديث النبوية تنديد بالمحتكرين والمضاربين الذين يحتجزون السلع ليبيعوها بأغلى الأسعار، وحض على إيفاء الكيل والوزن بالقسطاس المستقيم، وأمر لصاحب العمل بأن يؤدي للعامل أجره قبل أن يجف عرقه. ويحرم القرآن الربا أخذًا أو إعطاء (سورة البقرة ٢٧٥ وسورة آل عمران ١٣٠)، ولسنا نجد في التاريخ كله مصلحًا فرض على الأغنياء من الضرائب ما فرضه عليهم محمد لإعانة الفقراء. وكان يحض كل موصٍ بأن يخص من مالهِ جزءًا للفقراء، وإذا مات رجل ولم يترك وصية فرض على ورثته أن يخصصوا بعض ما يرثون لأعمال الخير (سورة النساء ٨ و٩) وقد قبل محمد كما قبل معاصروه نظام الاسترقاق على أنه من قوانين الطبيعة، ولكنه بذل كل ما في وسعه لتخفيف أعباء الرق ومساوئه.

كذلك رفع من مقام المرأة في بلاد العرب، وإن لم يرَ عيبًا في خضوعها للرجل، وهو يهيب بالرجال ألا يكونوا عبيدًا لشهواتهم، ويكاد يصف النساء كما يصفهم آباء الكنيسة المسيحية بأنهم من أكبر الشرور التي أصيب بها الرجال، ويظن أن مصير الكثرة الغالبة منهن هو الجحيم. وهو يحرم على النساء ولاية الحكم، لكنه يسمح لهن أن يحضرن الصلاة في المساجد، وإن كان يرى أن بيوتهن أولى بهن، وكن إذا جئن إليه للصلاة أحسن معاملتهن ولو أتين معهن بأطفالهن. وقد روي عنه أنه كان إذا سمع بكاء طفل في أثناء الصلاة قصر خطبته حتى لا يؤذي بطولها أمه. وقضى القرآن على عادة وأد البنات (سورة الإسراء ٣١) وسوى بين الرجل والمرأة في الإجراءات القضائية والاستقلال المالي، وجعل من حقها أن تشتغل بكل عمل حلال، وأن تحتفظ بمالها ومكاسبها، وأن ترث، وتتصرف في مالها كما تشاء (سورة النساء ٤ و٣٢)، وقضى على ما اعتاده العرب في الجاهلية من انتقال النساء من الآباء إلى الأبناء فيما ينتقل لهم من متاع. وجعل نصيب الأنثى في الميراث نصف نصيب الذكر، ومنع زواجهن بغير إرادتهن. وفي القرآن آية يأخذها بعضهم حجة على حجب النساء وهي ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣]. ولكن الآية إنما تؤكد النهي عن التبرج، ويروى أن النبي أجاز للنساء أن يخرجن لقضاء حوائجهن. أما زوجاته هو فقد طلب إلى أتباعه ألا يكلموهن إلا من وراء حجاب. وفيما عدا هذه القيود فإن نساء المسلمين كن يخرجن من البيوت بكامل حريتهن غير محجبات في أيام النبي وفي القرن الأول بعد الهجرة.

وبعد فإن المناخ من العوامل التي تؤثر في الأخلاق الفردية، ولعل حرارة الجو في بلاد العرب كانت من أسباب تقوية الغريزة الجنسية والنضج المبكر، ولهذا يجب التسامح بعض الشيء فيما نراه من نزعات الرجال في هذه الناحية في البلاد التي يطول فيها فصل الحر- ولقد كانت الشرائع الإسلامية تحرص على طلب العفة من الرجال والنساء قبل الزواج، وزيادة الفرص لإشباع الغريزة الجنسية بين الأزواج. ولهذا حتم القرآن الاستعفاف قبل الزواج (سورة النور ٣٣) وأوصى النبي بالصيام للاستعانة على هذا الاستعفاف. ويشترط

الدين الإسلامي رضاء الخطيبين لإتمام عقد الزواج، فإذا تم هذا الرضاء بشهادة الشهود العدول وأدى العريس مهر عروسه، كان ذلك كافيًا لإتمام . ويشترط الأحناف إجازة الولي في حال تزويج الصغير والصغيرة وإن كانا عاقلين والشافعي يحتم وجود الولي في حال تزويج البنت البكر وإن كانت بالغة وهو الذي يقوم بعقد الزواج (راجع بدائع الصنائع جـ٣ ص٣٣ و٢٤١). والزواج لابد فيه من مهر لا يشترط أداؤه فعلًا ليتم عقد الزواج، وللزوجين أن يتفقا على تأجيله كله أو بعضه على ما هو متعارف (راجع بدائع الصنائع جـ٢ ص٢٧٧-٢٧٨). (ي) العروسين أو لم يرضوا. وقد أجيز للمسلم أن يتزوج مسيحية أو يهودية ولكنه حرم عليه أن يتزوج من وثنية أو مشركة. وعدم الزواج في الإسلام، كما هو في الدين اليهودي، إثم، والزواج فيهِ فريضة محببة إلى الله (سورة النور ٣٢). وأجاز الإسلام تعدد الزوجات ليعوض بكثرة النسل الوفيات العالية بين الذكور والنساء على السواء، ولطول فترة النفاس، وما يحدث في البلاد الحارة من نقص سريع في قوة الإخصاب، ولكنه حدد عدد الزوجات الشرعيات بحيث لا يزدن على أربع وإن كان النبي نفسه قد تجاوز هذا العدد. وحرم الإسلام التسري (سورة المعارج ٢٩ و٣١) ولكن ذلك عنده خير من الزواج بمشركة (سورة البقرة ٢٣١).

وبعد أن تسامح الإسلام مع الرجل إلى هذا الحد فمكنه بتعدد الزوجات من إشباع غريزته الجنسية إشباعًا حلالًا حرم الزنا أشد التحريم، فجعل عقوبة الزاني والزانية مائة جلدة (سورة النور) لكنه اشترط لتوقيع هذه العقوبة ثبوت الزنا بشهادة أربعة من الشهود. ونهى القرآن فضلًا عن هذا عن رمي المحصنات فقال ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ﴾ [النور:٤] وقد قل الاتهام بالزنا بعد نزول هذه الآية.

وأباح القرآن الطلاق للرجل كما أباحه التلمود. وللمرأة أن تطلق نفسها من زوجها بأن ترد له صداقها (سورة البقرة ٢٢٩)؛ لكن الإسلام وإن أجاز للزوج أن يطلق زوجته كما كان مباحًا له في أيام الجاهلية الصحيح في هذا أنه لما كان الإسلام حريصًا على أن

تكون العشرة بين الزوجين بالمعروف فإن العشرة إن ساءت وأصبح من الخير لهما الانفصال كان ذلك بالطلاق برضاء الزوجين بلا مقابل أو بمقابل.، فإن النبي لم يكن يشجع عليهِ ويروى عنه أنه قال إن "أبغض الحلال إلى الله الطلاق". هذا إلى أن القرآن نفسه يحض على عدم قطع العلاقة الزوجية إلا بعد أن تُبذل الجهود للإصلاح بين الزوجين ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ [النساء:٣٥]. ولا يصبح الطلاق نهائيًا إلا بعد صدوره ثلاث مرات بين كل واحدة والأخرى شهر على الأقل ولكي يُرغم الزوج على أن يطيل التفكير في أيمان الطلاق قبل صدورها، فإن الإسلام لا يبيح بعد ذلك للرجل أن يرد مطلقته إلى عصمته إلا إذا تزوجت من رجل آخر ثم طُلقت منه. ولا يباح للزوج أن يقرب زوجته في المحيض وليس ذلك لأنها "نجسة" في ذلك الوقت، وإن كان يطلب إليها أن تتطهر بعده قبل أن يقربها زوجها. والنساء حرثٌ للرجال ومن الواجب على الرجل أن ينجب أبناء، وينبغي للزوجة أن تقر للزوج بتفوقهِ عليها في الزكاء، ومن ثم أن تكون له عليها القوامة وحق الطاعة، فإذا عصت كان له أن يهجرها ويضربها (سورة النساء ٣٤) والمرأة التي تتوفى وزوجها راضٍ عنها تدخل الجنة.

لكن ما فقدته النساء من حقوق قد نلن أكثر منه بفصاحة لسانهن، ورقة قلوبهن، ومفاتنهن، شأنهن في هذا شأن النساء في العالم كله. وقد حدث مرة أن لام عمر بن الخطاب زوجته لأنها كلمته بلهجة رأى فيها شيئًا من قلة الاحترام، فما كان منها إلا أن أكدت له أن هذه هي اللهجة التي تخاطب بها ابنته حفصة وغيرها من أزواج النبي رسول الله. فذهب عمر من فوره ولام على ذلك حفصة وزوجة أخرى من أزواج النبي. فقيل له إن هذا ليس من شأنهِ وخرج عمر غاضبًا. وسمع النبي بهذا فأثار ضحكه. وكان النزاع يقوم في بعض الأحيان بين النبي وبين أزواجه كما يحدث عند غيره من المسلمين، ولكنه كان على الدوام يعزهن، ويظهر لهن ولغيرهن من النساء المسلمات ما يليق بهن من عواطف طيبة. ويروى عنه أنه قال إن المرأة الصالحة أثمن شيء في العالم. ويذكر الله الناس

في القرآن مرتين بأن أمهاتهم حملنهم كرهًا ووضعنهم كرهًا وأرضعنهم أربعة وعشرين أو ثلاثين شهرًا(، ويروى عن النبي أنه قال: "الجنة تحت أقدام الأمهات".

وفي الفصل الرابع كتب عن القرآن والدين والدولة يقول:

"إن أعقد ما يلاقيه المصلح من المشاكل مشكلتان، أولها أن يجعل التعاون بين الناس محبوبًا جذابًا، والثانية أن يحدد سعة الكل والجماعة التي يشير عليها بالتعاون الكامل. والأخلاق المثالية تطلب المعاونة التامة بين كل جزء وبين كلّ كلّ -أي بين العالم أجمع وحياته الجوهرية ونظامه أي الله سبحانه وتعالى. وفي هذه الدرجة من التعاون يصبح الدين والأخلاق شيئًا واحدًا، ولكن الأخلاق وليدة العادة وحفيدة القسر، وهي لا تنمي التعاون إلا بين مجموعات مزودة بالقوة، ومن أجل هذا كانت كل الأخلاق الواقعية أخلاقًا جماعية.

وقد تخطت القوانين الأخلاقية التي جاء الإسلام بها حدود القبيلة التي ولد النبي بين ظهرانيها، ولكنها اقتصرت على الجماعة الدينية التي أنشأها. فلما تم له النصر في مكة وضع القيود على غارات النهب بين القبائل، وإن لم يكن في مقدورهِ أن يمنع هذه الغارات منعًا باتًا؛ وأشعر بلاد العرب كلها، أي أنه أشعر بلاد الإسلام كلها في ذلك الوقت، معنى جديدًا للوحدة، ووضع لها أفقًا للتعاون والولاء أوسع مما عرفته من قبل ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرات:١٠] وقللت العقيدة المشتركة ما بين الطبقات والأجناس من فروق، وفي ذلك يقول النبي: "اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبدًا حبشي كأن رأسه زبيبة". تلك بلا مراء عقيدة نبيلة سامية ألفت بين الأمم المتباينة المنتشرة في قارات الأرض فجعلت منها شعبًا واحدًا: وهي لعمري أعظم معجزة للمسيحية والإسلام. غير أن هذا الحب السامي الذي يدعو إليه الدينان يقابله عداء شديد لغير المؤمنين ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة:٥١] ... ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ

﴿وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [التوبة:٢٣]. لكن القرآن يأمر في آيات كثيرة بأن يسلك المسلمون جادة الاعتدال في الأخذ بهذه المبادئ فيقول ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٦٥] ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [البقرة:١٣٧] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾ [النحل] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ﴾ [هود:٥٧] ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾﴾ [الصافات] ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الصافات]. أما كفار العرب الذين لم يؤمنوا برسالة النبي فقد أمر بقتالهم ولما أن بدأت الحرب مع قريش وانسلخت الأشهر الحرم أمر المسلمون بقتالهم حيث وجدوهم (سورة التوبة ٥) "فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفورٌ رحيم"-"وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه"، ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة:٥] ومن وصايا أبي بكر لجيوشه أن لا يقتلوا شيخًا عاجزًا عن القتال، ولا طفلًا صغيرًا، ولا امرأة. وكان على كل مسلم سليم الجسم أن يشترك في الجهاد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف]. ومن أحاديث النبي: «**والذي نفس محمد بيده لغدوةٌ في سبيل الله أو روحةٌ خير من الدنيا وما فيها**». و«**لمقام أحدكم في الصف خيرٌ من صلاته ستين سنة**». لكن هذه المبادئ الأخلاقية الحربية ليست في واقع الأمر تحريضًا على القتال ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة]. وكان محمد يتبع قوانين الحرب التي كان يتبعها المسيحيون في أيامه ويشن الحرب على كفار قريش المسيطرين على مكة كما كان إربان الثاني Urban II فيما بعد يدعو إلى قتال المسلمين المسيطرين على بيت المقدس.

ويلوح أن الثغرة التي لابد من وجودها بين النظريات المجردة والأفعال الواقعية كانت أضيق في الإسلام منها في سائر الأديان. ولقد كانت العرب أكثر شهوانية من كثير من الشعوب، ولهذا أجاز الإسلام تعدد الزوجات، أما فيما عدا هذا فإن الشريعة الإسلامية

شديدة كل الشدة على من لا يتمسك من المسلمين بأصول الدين؛ والذين يجهلون الإسلام هم وحدهم الذين يظنون أنه دين سهل من الوجهة الأخلاقية. كذلك كان من طبيعة العرب الأخذ بالثأر، ولهذا لم يدع الإسلام إلى مقابلة الإساءة بالإحسان. ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقـــــرة:١٩٤] ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [الشورى]، تلك أخلاق تليق بالرجال، شبيهة بما جاء في العهد القديم، فهي تؤكد فضائل الرجولة كما تؤكد المسيحية فضائل الأنوثة. وليس في التاريخ دين غير دين الإسلام يدعو أتباعه على الدوام إلى أن يكونوا أقوياء، ولم يفلح في هذه الدعوة دين آخر بقدر ما أفلح فيها الإسلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ [آل عمران:٢٠٠] هكذا كان يقول أيضًا زرادشت الذي نادى بمبادئ نتشة قبل وجود نتشة بزمن طويل.

والمسلمون يعظمون القرآن إلى درجة تقرب من العبادة، وقد كتبوا المصاحف وزينوها وبذلوا في سبيل ذلك كل ما يستطيعون من عناية مدفوعين إليها بحبهم له، وهو الكتاب الذي يبدأ منه أطفال المسلمين بتعلم القراءة، وهو المحور الذي يدور عليه تعليمهم والذروة التي ينتهي بها هذا التعليم. وقد ظل أربعة عشر قرنًا من الزمان محفوظًا في ذاكرتهم، يستثير خيالهم، ويشكل أخلاقهم، ويشحذ قرائح مئات الملايين من الرجال. والقرآن يبعث في النفوس الساذجة (الأفضل أن يقال السليمة الفطرة) ولقد آمن بالقرآن كثير من رجال العلم والفكر في كل عصر من العصور الماضية وفي هذا العصر الذي نعيش فيه؛ كما آمن به من لا يحصون كثرة من الناس على اختلاف حظوظهم من العقل والفكر؛ وما ذلك إلا لأنه جاء بالعقيدة الحقة الواضحة التي يتقبلها الجميع. أسهل العقائد، وأقلها غموضا، وأبعدها عن التقيد بالمراسم والطقوس، وأكثرها تحررًا من الوثنية والكهنوتية. وقد كان له أكبر الفضل في رفع مستوى المسلمين الأخلاقي والثقافي، وهو الذي أقام فيهم قواعد النظام الاجتماعي والوحدة الاجتماعية، وحضهم على إتباع القواعد الصحية، وحرر عقولهم من كثير من الخرافات والأوهام، ومن الظلم والقسوة،

وحسن أحوال الأرقاء، وبعث في نفوس الأذلاء الكرامة والعزة، وأوجد بين المسلمين (إذا استثنينا ما كان يقترفه بعض الخلفاء المتأخرين) درجة من الاعتدال والبعد عن الشهوات لم يوجد لها نظير في أية بقعة من بقاع العالم يسكنها الرجل الأبيض. ولقد علم الإسلام الناس أن يواجهوا صعاب الحياة، ويتحملوا قيودها، بلا شكوى ولا ملل، وبعثهم في الوقت نفسه إلى التوسع توسعًا كان أعجب ما شهده التاريخ كله. وقد عرَّف الدين وحدده تحديدًا لا يجد المسيحي ولا اليهودي الصحيح العقيدة ما يمنعه من قبوله.

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة].

* * *

المراجع

- الاستشراق والمستشرقون أهداف الاستشراق ووسائله: د. مصطفى السباعي، مجلة حضارة الإسلام، العدد ٩، السنة ٢.
- رؤية إسلامية للاستشراق: أحمد عبد الحميد غراب ، المنتدى الإسلامي بيرمنجهام ط٢
- المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه: تأليف رودي بارت.الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة مصطفى ماهر- القاهرة: دار الكتاب العربي. د ت.
- الإسلام دين الإنسانية، تأليف أنا ماري شمل، وزارة الأوقاف المصرية سلسلة قضايا إسلامية، وترجمه وتعليق د. صلاح محجوب- مايو ٢٠٠٧م.
- الله ليس كذلك: تأليف زيجريد هونكه، ترجمة د.غريب محمد غريب -دار الشروق ١٩٦٩م.
- جوته والعالم العربي: تأليف كاتارينا مومزن، ترجمة عدنان عباس على، عالم المعرفة ع: ١٩٤- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت ط١: فبراير.١٩٩٥.
- النور والفراشة: د. عبد الغفار مكاوي -سلسلة اقرأ- دار المعارف -القاهرة- ط١: ١٩٨٩:
- إظهار الإسلام: تاليف روجيه دوباسكويه، تعريب ونشر مكتبة الشروق القاهرة عام ١٩٩٤م.
- مختارت من كتاب حياة محمد: تأليف الفونس دولا مارتين، ترجمة د.محمد قوبعة ومراجعة د.أحمد درويش، مؤسسة البابطين، باريس، ٢٠٠٦ م.

- "محمد ﷺ نبي لزماننا: تأليف كارين أرمسترونج -ترجمةو تحقيق: فاتن الزلباني، مكتبة الشروق الدولية٢٠٠٩م.
- صراع من أجل التسليم للإيمان: تأليف جيفريٰ لانج، ترجمة دار الفكر بدمشق عام ١٩٩٨م.
- صراع من أجل التسليم للإيمان: تأليف جيفري لانج، ترجمة وتحقيق منذر العبسي، دار الفكر المعاصر ٢٠٠٦ م
- حكم النبي محمد: تأليف ليو تولستوى، ترجمة سليم قبعين- مطبعة التقدم - القاهرة ١٩٠٨.
- حكم النبي محمد: تأليف تولستوي- دراسة وتقديم وتعليق دكتور محمود النجيري، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر.. (ضمن سلسلة نافذة على الغرب)؛ ٢٠٠٧م
- الإسلام كبديل: تأليف د.مُراد هوفمان، تعريب عادل المعلم، دار الشروق الطبعة الثانية ٢٠٠٤م
- الطريق إلى مكة: تأليف د.مراد هوفمان- القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٨م.
- الأبطال:، تأليف توماس كارليل، ترجمة وتحقيق محمد السباعي، دار المعارف ١٩٨٦ م، ط١
- " محمد ﷺ المثل الأعلى: تأليف توماس كارليل، تعريب محمد السباعي، مكتبة الآداب.
- قصة الحضارة، نشأة الحضارة الشرق الأدنى: تأليف ول. ديورانت، ترجمة د. زكي نجيب محمود ومحمد بدران، الهيئة المصرية العامة للكتاب (سلسلة مكتبةالأسرة ٢٠٠١ م.

* * *

إضاءة حول شخصية الكاتب

- الطيب أديب عبد الراضي.
- مواليد مصر -قنا- ١٩٦٣ م.
- تخرج في كلية الآداب - جامعة عين شمس (قسم الجغرافيا ١٩٨٧م).
- يعمل حاليًا "وكيل مواد ثقافية"بالأزهر الشريف(منطقة قنا الأزهرية).
- عضو اتحاد كتاب مصر.
- قاص وروائي وكاتب أدب أطفال.
- مؤلفات صدرت للكاتب:
  - "رحيل السنط"، مجموعة قصصية صدرت عن مركز الحضارة العربية - القاهرة ٢٠٠٣م.
  - "مجموعة كتب قصصية"مصورة للأطفال صدرت عن دار روان للنشر، القاهرة ٢٠٠٤م.
  - "كيف نربي أطفالنا" (دراسة) صدرت عن دار روان للنشر ٢٠٠٧م.
  - "رائحة الطين" (رواية) صدرت عن دار وعد للنشر - القاهرة ٢٠٠٨م
  - "نحن والغرب وإسرائيل" (كتاب)" مقالات منشورة " صدر عن مركز الحضارة العربية، القاهرة ٢٠٠٨م.
  - مجموعة" سيرة الحبيب" ﷺ عشرة أجزاء (عربي - إنجليزي) للأطفال، صدرت عن دار روان للنشر ٢٠٠٨م

- "طفلي من ميلاده حتى بلوغه"(كتاب تربوي-علمي)، صدر عن دار اليقين للنشر، المنصورة ٢٠٠٩م.
- "الفيل والنملة" (كتاب) "قصص للأطفال" -صدر عن سلسلة كتاب قطر الندى، الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٠م.
- مجموعة " من أبطال الإسلام "- (عشرة أجزاء) تاريخية مصورة للأطفال - صدرت عن دار جنى للنشر - القاهرة ٢٠١٠م.
- مجموعة (من أبطال العرب) (ثمانية أجزاء) تاريخية مصورة للأطفال - صدرت عن دار جنى للنشر - القاهرة ٢٠١١م.
- "جدتي تتسلق حائط الفيس بوك" كتاب- صدر عن دار المعرفة القاهرة٢٠٠١١م.

E-mail:
altayeb 11 @ gmail. com
Al.tayeb11@hotmail.com

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

* * *